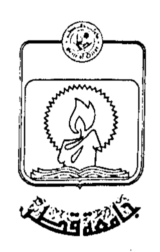
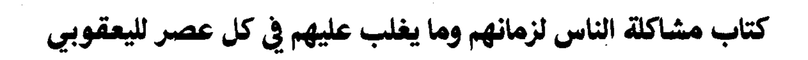




السنة الخامسة - العدد الخامس

١٤١٤هـ - ١٩٩٣م


كتاب مشاكلة الناس لزمانهم وما يغلب عليهم في كل عصر لليعقوبي

تحقيق وتقـديم

دكتـور/ مضيـوف الفــرا

تقـــديم :

كتابُ مُشاكلة النّاس لزمانهم وما يغلب عليهم في كل عصر من كتب التاريخ التي يعود تأليفها إلى القرن الثالث الهجري (التاسع الميلادي) ، ولم يأخذ مكانه في المكتبة العربية إلاّ في النصف الثاني من القرن العشرين ، حيث طُبع لأول مرّة في بيروت سنة ١٩٦٢م . ومؤلف هذا الكتاب يعرف باليعقوبيّ ، وهو من العلماء المسلمين الذين اهتموا بالكتابة في التاريخ والجغرافيا . والمعلومات عن شخصيته نادرة نجد شذرات منها مبثوثة في بعض المصادر العربية التي يهتم مؤلفوها بذكر من سبقهم في التأليف أو عند الاقتباس من آثارهم ، رغم أن المؤرخين والإخباريين توقفوا أمام شخصيات أقل أهمية وأقل شأناً مثل المغنّين والقيان ، وربما يعود ذلك إلى أن اليعقوبي لم يذكر شيئاً عن نفسه أو عن حياته في كل مؤلفاته .

اليعقـوبي هو الكاتب العباسيّ أحمد بن أبي يعقوب إسحاق بن جعفر بن وهب بن واضح بن عبدالله المنصوري ، يرد اسمه في المصادر العربية بصيغ مختلفة من هذا النسب الطويل فتارة نراه أحمد بن أبي يعقوب أو أحمد الكاتب أو أحمد بن إسحاق أو أحمد بن واضح ، وتارة أخرى نجده ابن واضح الأصبهاني وابن واضح المصري أو ابن وهب أو ابن اليعقوبي ، إلاّ أن شهرته باليعقوبي قد فاقت جميع تلك الصيغ .

لم تتعرضّ المصادر المختلفة إلى ذكر تاريخ مولده في حين يرى ياقوت الحموي وإسماعيل البغدادي أنه توفى في عام ٢٨٤هـ/ ٨٩٧م[1] ، مما جعل غيرهم يأخذ بهذا التأريخ . ومن خلال تحليل كتابات اليعقوبي نرى أنه كان لايزال حيًّا بعد ذلك التاريخ ، يدل على ذلك تأريخه للخليفة المعتضد الذي توفى في عام ٢٨٩هـ/ ٩٠٢م حيث وصفه في كتاب مشاكلة الناس لزمانهم وما يغلب عليهم في كل عصر ، بقوله« فكان رجلًا شهماً حازماً» . ويؤكد هذا الرأي كذلك ما ذكره الكندي وما نقله العاملي والمقريزي من مقالة لليعقوبي ذكرها في عام ٢٩٢هـ/ ٩٠٥م ، بعد القضاء على دولة الطولونيين في مصر وهي تقول : «حدّث أحمد بن أبي يعقوب الكاتب قال : لما كانت ليلة عيد الفطر من سنة ٢٩٢هـ (٩٠٥م) تذكرت ما كان فيه آل طولون في مثل هذه الليلة من الزّي الحسن بالسلاح وملونات البنود والأعلام وشُهرة الثياب وكثرة الكراع وأصوات الأبواق والطبول فاعترتني لذلك فكرة ، ونمت في ليلتي فسمعت هاتفاً يقول : ذهب المُلك والتملُّك والزينة لما مضى بنو طولون»[2] . بناءاً على ذلك ، يمكن القول بأن وفاة اليعقوبي قد حدثت بعد عام ٢٩٢هـ مباشرة أو في عام لاحق على وجه التقريب .

---

(١) ياقوت ، معجم الأدباء ، طبعة الدكتور رفاعي مجـ٥ ، ص١٥٣ ، إسماعيل البغدادي ، هدية العارفين ، جـ١ ، ص٥٢ .
(٢) الكندي ، كتاب الولاة ، ص ص ٢٥٠ - ٢٥٢ ، المقريزي ، الخطط ، جـ١ ، ص٣٢٦ ، العاملي ، أعيان الشيعة ، جـ١٠ ، ص٣٥٥ .

مؤكد أن اليعقوبي ولد في مدينة بغداد حيث كانت تقيم عائلته ، وأنه نشأ في بيئة علم وفكر ، في أحضان عائلة ثرية ومقربة من الخلفاء العباسيين ، فجدّه الأعلى واضح كان من موالي الخليفة المنصور ، وكان ممن يعهد إليهم بالمهمات الصعبة ، فولاّه على أرمينيا وأذربيجان لمدة طويلة استمرت نحو سبع عشرة سنة من ١٤١ - ١٥٨هـ / ٧٥٨ - ٧٧٥م[٣] . كما ولاّه المهدي حكم مصر في سنة ١٦٢هـ/ ٧٧٩م لعدّة شهور أصبح بعدها صاحب البريد فيها حتى سنة ١٦٩هـ/ ٧٨٥م[٤] . وكان جدّه جعفر بن وهب يعمل كاتباً للأمير محمد بن صالح بن المنصور[٥] فكان من كبار عمال البريد[٦] .

شهد القرن الذي عاش فيه اليعقوبي نهضة علمية وفكرية عظيمة ، أفرزت العديد من العلماء المسلمين الذين أثروا المكتبة الإسلامية بمؤلفاتهم في مختلف الفنون والعلوم ، وكانت مكتبة بيت الحكمة التي أسّسها هارون الرشيد في الربع الأخير من القرن الثاني الهجري في أوج ازدهارها .

كشف اليعقوبي عن ميوله المبكرة لعلم أخبار البلدان ، حيث يقول «إني عُنيت في عنفوان شبابي وعند احتيال سني وحدّة ذهني بعلم أخبار البلدان ، والمسافة ما بين كل بلد وبلد ، لأني سافرت حديث السن واتصلت أسفاري ودام تغربي»[٧] . ومن خلال طبيعة كلامه ومما توافر من المعلومات المبثوثة في بعض المصادر العربية ، علمنا أنه غادر بغداد وهو في سن الشباب متنقلاً بين ولايات الخلافة الإسلامية ، فتارةً نراه في البلاط الطاهريّ بخراسان ، وتارة أخرى نجده في أرمينيا يعمل كاتباً لعدد من ملوكها[٨] ، وزار مكة والمدينة لأداء فريضة الحج ، كما زار فلسطين وسوريا والمغرب ، وتوقف به المطاف في مصر حيث أقام بها طويلاً متمتّعا برعاية الطولونيين[٩] ، حتى عُرف بابن واضح المصري .

كان اليعقوبي في حلّه وترحاله شغوفاً بلقاء أهل الأمصار ، فتجمع لديه حصيلة جيدة من المعلومات أضاف إليها ملاحظاته ومشاهداته ، وما ثبت لديه صحّته من مختلف المصادر ، فجاءت كتاباته في التاريخ والجغرافيا دقيقة جديرة بالثقة والإعجاب ، فاقتبس منها من جاء بعده من الجغرفيين والمؤرخين الكبار مثل الخطيب البغدادي (ت ٤٦٣هـ/ ١٠٧٠م) ، ومحمد التميمي

(٣) اليعقوبي ، تاريخ ، جـ٢ ، ص٣٧٢ ، انظر أيضاً ابن تغري بردي ، النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة ، القاهرة جـ٢ ، ص٤٠ .

(٤) الطبري ، تاريخ ، جـ٣ ، ص ص ٣٩٣ ، ٥٢٣ - ٥٢٤ ، الكندي ، كتاب الولاة ، ص١٢١ ، القلقشندي ، صُبح الأعشى في صناعة الإنشاء ، ص٤٢٢ ، المقريزي ، الخطط ، جـ١ ، ص٣٠٧ ، ابن تغري بردي ، ص ص ٤٠ - ٤١ .

(٥) اليعقوبي ، تاريخ ، جـ٢ ، ص٤٥٤ .

(٦) كراتشكوفسكي ، تاريخ الأدب الجغرافي العربي ، تحقيق صلاح الدين هاشم ، جـ١ ، ص١٥٨ .

(٧) اليعقوبي ، كتاب البلدان ، تحقيق مضيوف الفرا ، إكستر ، ١٩٨٠ ، ص١ .

(٨) ياقوت ، معجم البلدان ، مجـ١ ، ص١٦١ يقول : «ذكر ابن واضح الأصبهاني أنه كتب لعدة من ملوكها وأطال المقام بأرمينية ولم ير بلداً أوسع منه ولا أكثر عمارة ، وذكر أن عدة ممالكها مائة وثماني عشرة مملكة» .

(٩) العاملي ، أعيان الشيعة ، جـ١٠ ، ص٣٣١ .

المقدسي (ت ٣٧٠هـ/ ٩٨٠م) ، وياقوت الحموي (ت ٦٢٦هـ/ ١٢٢٨م) ، وأبو عبيد البكري (ت ٤٨٧هـ/ ١٠٩٤م) ، والقـزويني (ت ٦٨٢هـ/ ١٢٨٣م) ، وأبـو الفـداء (ت ٧٣٢هـ/ ١٣٣٢م) ، ثم الحِمْيَري (ت حوالي ٩٠٠هـ/ ١٤٩٤م) وغيرهم[١٠] .

لقد وصل إلينا من آثار اليعقوبي ثلاثة كتب ومجموعة من الأقوال والأشعار حفظتها لنا بعض المصادر العربية ، ولا يزال أربعة كتب لليعقوبي مفقودة وهي كتاب في أخبار الطاهرين ، يُستدل عليه من حديثه عن الطاهريين في كتابه التاريخ حيث يقول : «ثم كتب (طاهر إلى المأمون) كتاباً بالفتح يشرح فيه خبره منذ يوم شخص من خراسان ، وما عمل في بلد بلد ويوم يوم ، جعلناه في كتـاب مفرد»[١١] ومن هذا الوصف يتضح أنه كتاب في تمجيد الطاهريين حيث عاش في بلاطهم برعياتهم ، والكتاب الثاني ، كتاب أخبار الروم ، وقد ذكره اليعقوبي وعرّف بموضوعاته في بدء حديثه عن الربع الغربيّ في كتاب البلدان ، حيث يقول : «وقد ذكرنا أخبار الروم ومدنها وحصونها وموانيها وجبالها وشعابها وأوديتها وبحيراتها ومواضع الغارات عليها في كتاب غير هذا» . ومن هذا الوصف يتضح لنا أنه كتاب جامع لمعلومات تاريخية وجغرافية عن بلاد الروم . والكتابان الثالث والرابع هما : كتاب أخبار الأمم السالفة وكتاب فتح أفريقية وأخبارها ، وقد أخبرنا عنهما ياقوت الحموي والعاملي[١٢] . وقد وصف ياقوت كتاب أخبار الأمم السالفة بأنه صغير الحجم . أما الكتب التي لا تزال بين أيدينا فهي كتاب التاريخ وكتاب مشاكلة الناس لزمانهم وما يغلب عليهم في كل عصر وهو الكتاب الذي نحن بصدد تقديمه للقراء .

كتاب البلدان :

يرجع تأليف كتاب البلدان إلى عام ٢٧٨هـ/ ٨٩١م ، وهو الكتاب الذي اشتهر به اليعقوبي في الأوساط العلمية العالمية كجغرافي . وقد طُبع الكتاب عدة مرات أولها في سنة ١٨٦١م بتحقيق ينبول وثانيها في عام ١٨٩٢ بتحقيق دي خوية ، ثم ترجمه جاستون فييت إلى اللغة الفرنسية وطبعت الـترجمة بالقاهرة في سنة ١٩٣٧ . كما طبعت نسخة دي خوية ببغداد في سنة ١٩٣٨ . وفي سنة ١٩٨٠ قام كاتب هذه السطور بتحقيق الكتاب اعتماداً على مخطوطتين لم يسبق تحقيقها ، وهما مخطوطة برلين ومخطوطة تركيا بالإضافة إلى النسختين المطبوعتين من الكتاب وصورة من مخطوطتها المحفوظة في ميونخ ، ويأمل في نشره قريباً .

---

(١٠) آدم متز ، الحضارة الإسلامية ، ترجمة محمد عبدالهادي أبو ريدة ، ط٢ ، جـ٢ ، ص٣ .
(١١) مضيوف الفرا ، اليعقوبي الجغرافي المؤرخ ، ص ص ٦١ - ٦٥ .
(١٢) اليعقوبي ، تاريخ ، جـ٢ ، ص٤٤٢ .
(١٣) ياقوت ، معجم الأدباء ، مجـ٥ ، ص ص ١٥٣ - ١٥٤ ، العاملي ، أعيان الشيعة ، جـ١ ، ص ص ٣٣١ - ٣٣٤ ، عمر رضاكحالة ، معجم المؤلفين - ص١٦١ ، زركلي ، الأعلام ، جـ١ ، ص٩١ .

يُعتبر هذا الكتاب من المصادر الجغرافية العربية الهامة عن دولة الإسلام والبلاد المجاورة لها في القرن الثالث الهجري ، كما يُمثّل وصفه للخطط التاريخية لمدينتي بغداد وسامراء أهمية منقطعة النظير ، وشمل الحديث عنهما نحو ربع الكتاب ، وقد شهد آدم متز لليعقوبي بأنه أول جغرافي بين العرب وصف المالك معتمداً على ملاحظاته الخاصة وأنه «وصف المملكة الإسلامية مبتدئاً ببغداد وصفاً منظماً مع إصابة جديرة بالثقة والإعجاب»[١٤] .

كتاب التاريخ :

يعرف في الأوساط العلميّة بتاريخ اليعقوبي ، وقد طبع لأول مرة في مدينة ليدن بهولندا في سنة ١٨٨٣ بتحقيق هوتسما ، ثم أعيدت طباعته في بيروت مرتين الأولى في سنة ١٩٦٠ والثانية في سنة ١٩٧٠ .

يتكون الكتاب من جزئين . اختص الجزء الأول بتاريخ البشرية منذ بداية الخلق حتى قبيل البعثة النبوية . أما الجزء الثاني فقد خصّه اليعقوبي لتاريخ الإسلام من مولد الرسول الكريم ﷺ حتى عام ٢٥٩هـ/ ٨٧٢م . ويحتل هذا الكتاب ، مكانة مرموقة بين كتب التاريخ ، لما تميّز به من دقة في المعلومات وعدم تحيُّز في ذكر الأحداث التاريخية ، ويمكن وضعه في مصاف دوائر المعارف لغزارة مادته التاريخية ولاحتوائه على معلومات جغرافية .

الأقوال والأشعار:

لليعقوبي مجموعة من الأقوال والأشعار لم ترد فيها لدينا من كتبه ، جمعها دي خوية وذيّل بها تحقيقه لكتاب البلدان الذي نشره ضمن مجلد مع كتاب الأعلاق النفسية لابن رستة وطبع في ليدن بهولنده في سنة ١٨٩١ ، وقد احتلت ثلاث عشرة صفحة (٣٦١ - ٣٧٣) ، جمعها من كتب الإدريسي والنويري وابن الفقيه الهمذاني وياقوت والمقريزي والعاملي والكندي وأبي الفداء والحميري والتميمي المقدسي . ومن بين الأشعار التي تنسب إلى اليعقوبي نذكر أبياتاً في صفة مدينة سمر قند[١٥] .

علت سمر قند أن يقال لها ... زَيْنُ خُراسان جَنَّة الكُوَر
أليس أبراجها معلقة ... بحيث لا تَسْتَبين للنظر
ودون أبراجها خنادقها ... عميقة ما تُرام من ثُغْر
كأنها وَهْيَ وسط حائطها ... محفوفة بالظِّلال والشَّجر
بدرٌ وأنهارها المجرّة والـ ... آطام مثل الكواكب الزهر

(١٤) آدم متز ، مرجع سابق ، ص ٣ .
(١٥) ياقوت ، معجم البلدان ، جـ ٣ ، ص ٢٤٨ .

كتاب مشاكلة الناس لزمانهم :

يرجع تأليف هذا الكتاب إلى حوالي عام ٢٨٩/ ٢٩٠هـ (٩٠٢/ ٩٠٣م) ، يستدل على ذلك من آخر معلومة وردت فيه وكانت عن الخليفة المعتضد الذي توفي في عام ٢٨٩هـ/ ٩٠٢م . وقد ابتدأه المؤلف بقوله «فأمّا الخلفاء وملوك الإسلام ، فإن المسلمين في كل عصر تبع للخليفة يسلكون سبيله ويذهبون مذاهبه ويعملون على قدر ما يرون منه ، ولا يخرجون عن أخلاقه وأفعاله وأقواله .

يوجد هذا الكتاب في مخطوطة فريدة محفوظة بمكتبة مراد مُلّا في اسطنبول بتركيا تحت رقم ١٤١٠/ ٢٣ ضمن مجموعة من ٧٩ أ/ ٨٦ أ ، يعود تاريخ نسخها إلى القرن التاسع الهجري ، ويحتفظ معهد إحياء المخطوطات العربية المصوَّرة بالقاهرة بصورة فيلمية لهذه المخطوطة تحت رقم تصوير ف٩٢٢ من١ ، حصل المحقق على صورة منها في سنة ١٩٨٠م .

تقع المخطوطة في سبع ورقات فقط ، مقاسها ١٨×٢٧,٥سم ، وعدد أسطر الصفحة الواحدة ٢١ سطراً ، وقد كُتبت برسم المصحف العثماني بخط نسخي واضح ومشكول في بعض الأحيان . والمخطوطة لا تخلو من بعض الأخطاء الإملائية التي نجمت عن نسخها ، كما أن اسم الناسخ وتاريخ النسخ غير مثبتين في نهايتها ، ولم يلتزم الناسخ بتنظيم فقرات الكتاب ، كما ترك بعض الكلمات غير منقوطة .

قام وليام ملوارد William Millward بتحقيق المخطوطة لأول مرة ، وطُبع التحقيق في بيروت سنة ١٩٦٢ . ومن خلال مراجعتي للنسخة المحققة ومقارنتها بالنص الأصلي ، رأيت وجوب تحقيق المخطوطة وتقديمها بشكل أفضل ، لأن ملوارد لم يُعْن في تحقيقه بالأخطاء الإملائية وبعض الأخطاء في رسم الأسماء التي حدثت عند النسخ ، بالإضافة إلى أنه لم يزوِّد القارىء بما يلزم من معلومات حول أسماء المواضع والأشخاص ، وقد نُشر التحقيق بمقدمة قصيرة تصف المخطوطة بشكل عام في ذيل كتابي «اليعقوبي الجغرافي المؤرخ» الذي طبع في الدوحة سنة ١٩٨٤ .

بعد مضي أكثر من سبع سنوات على نشر التحقيق ، كان خلالها قد توافر لديّ المزيد من المصادر والمراجع ذات نفس الدلالة التاريخية مع اختلاف في المنهج والأسلوب ، مما حدى بي إلى إعادة النظر في الكتاب ليخرج إلى القارىء في شكل جديد تحقق معه :

- استكشاف المصادر التي اعتمد عليها المؤلف في رصد ما احتوى عليه الكتاب من معلومات ، لأن الكتاب كان خُلْواً من مُقدِّمة يذكر فيها المؤلف مصادره .
- تحليل النص والتعليق عليه ، مع عقد مقارنة بين المعلومات التي وردت فيه والمعلومات التي وردت في المصادر والمراجع الأخرى لبيان مدى التشابه والاختلاف بينهما .
- تقديم المؤلف للقرّاء من خلال معلومات عن حياته وآثاره العلمية .

- تصويب الأخطاء المطبعية التي وردت في طبعته الأولى .
- تقديم الكتاب في ثوب جديد بعد تقسيمه إلى ثلاثة فصول اختص كل فصل منها بعهد من العهود الإسلامية الثلاثة التي شملها الكتاب . وتيسيراً على القارىء في متابعة النص تم رصد الهوامش والملاحظات في النص مسلسلة بدءاً من رقم (١) لكل فصل على حده .

موضوع الكتاب وغايته :

يمكن وصف هذا الكتاب الصغير في حجمه بأنه بمثابة رسالة في التأريخ الإسلامي تصف جوانب معينة من أحوال المسلمين تتمثل في أنماط من السلوك والعادات التي سادت بين المسلمين على مدى ثلاثة عهود من تاريخهم الطويل ، بدءاً بعهد الخلفاء الراشدين ومروراً بعهد الخلفاء الأمويين وانتهاءاً بعهد الخلفاء العباسيين حتى الخليفة المعتضد .

يناقش المؤلف في هذا الكتاب أموراً معينة من خصائص كل خليفة وحاكم ، ويحاول أن يبرهن - من وجهة نظره - على أن المسلمين في كل عصر كانوا يتمثلون بذوي الأمر منهم في صفاتهم ولباسهم وأفعالهم : وكأنه أراد بذلك أن يضع أمام صُنّاع القرار في الدولة الإسلامية نماذج متباينة من السُّلوك ليتمثّلوا منها بما يصلح أمر المسلمين ، ويبتعدوا عما يفسد أمورهم ، لأن صلاح الأمة يتبع صلاح السلطان .

حقيقة أن هذا الكتاب من حيث موضوعاته يمثل كتاباً في التأريخ ، إلا أنه يتميز عن كتب التاريخ الإسلامي المعهودة من حيث مضمونة ومادته ومنهجه ، فلم يتضمن التاريخ للأحداث وسني وقوعها أو سِيَر الخلفاء وأخبار الفتوحات الإسلامية والحروب التي وقعت في عهودهم ، وانحصرت موضوعاته في أمور ترتبط بأخلاق الخلفاء وأفعالهم وأقوالهم ، كان لها تأثير على الناس فقلّدوها وعملوا بها . والمتصفّح للكتاب يلاحظ أن الأمور التي يذكرها المؤلف تعتبر من وجهة نظره من الأمور الأوائل التي أخذ بها كل خليفة قولاً وعملاً ، ولم يسبقه إليها أحد .

إن موضوع الأوائل في حدِّ ذاته يُمثِّل علماً له دلالة وغاية ، عرّفه حاجي خليفة في كتابه كشف الظنون عن أسماء الكتب والفنون بقوله[١٦] : «علمٌ يعرف منه أوائل الوقائع والحوادث بحسب المواطن والنسب ، موضوعه وغايته ظاهرة ، وهذا العلم من فروع التواريخ والمحاضرات ، ولكن ليس بمذكور في كتب الموضوعات» . لذلك فإن كتاب مشاكلة الناس لزمانهم وما يغلب عليهم في كل عصر ، ينتمي إلى هذا الفرع من التاريخ ، بل هو من أقدم الكتب التي تناولت الأمور الأوائل . وقد كَتَب في هذا المجال عدد من المؤرخين والأدباء المسلمين ، منهم من اتخذ «الأوائل» عنواناً لكتابه ، ومنهم من ضمن العنوان مصطلح «الأوائل» ، ومنهم من أفرد فصلاً قائماً بذاته بذكر الأوائل

(١٦) حاجي خليفة ، كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون ، مجـ١ ، ص ١٩٩ .

في كتابه . ومن الأمثلة على ذلك الأوائل للطبراني (ت ٣٦٠هـ/ ٩٦٩م) ، والأوائل لأبي هلال العسكري (ت ٤٠٠هـ ١٠٠٩م) والأوائل لمحمد بن أبي القاسم الراشدي (ت ٦٥٥هـ/ ١٢٥٧م) ، ثم الوسائل إلى معرفة الأوائل لأحمد بن عبد الله الشبلي (ت ٧٦٩هـ/ ١٣٦٧م) ، وإقامة الدلائل على معرفة الأوائل لأحمد بن علي بن حجر العسقلاني ، والوسائل في مسامرة الأوائل لجلال الدين عبدالرحمن بن أبي بكر السيوطي (٩١١هـ/ ١٥٠٥م) ، ومحاضرة الأوائل السابقين لمحمد أحمد علي منصور وقد صدر في سنة ١٣٩٠هـ/ ١٩٧٠م) . ومن بين الذين أفردوا فصلاً قائماً بذاته لذكر أخبار الأوائل نذكر ابن قتيبة الدينوري في «المعارف» (٥٥١ - ٥٥٨) ، والبيهقي في المحاسن والمساوىء (٢ : ٦٧ - ٧١) . وقد ذكر ياقوت كتاباً في الأوائل لعبدالله المدائني المتوفى سنة ٢٢٥هـ/ ٨٣٩م[١٧] .

بمقارنة محتوى هذه الكتب بما ورد في «مشاكلة الناس لزمانهم» يتبين لنا الاختلاف الكبير سواء في الأسلوب أو المضمون ، فكتاب مشاكلة الناس لزمانهم تميز بذكر أمور أوائل معينة تخص فترة زمنية محددة ، كما أنها مرتبطة بفئة الخلفاء والحكام ، في حين نجد تلك الكتب تتناول أموراً أوائل عامة دينية ودنيوية ، وغير مرتبطة بفئة خاصة ، وهذه الأمور مرتبة حسب الموضوع ، ولنضرب لذلك أمثلة من كتابي الأوائل للطبراني والوسائل في مسامرة الأوائل للسيوطي ، فالأول يرتب الأمور الأوائل التي أوردها تحت أبواب مثل باب أول ما خلق الله القلم ، وباب أول ما خلق الله من الإنسان ، وباب أول من جحد آدم عليه السلام . . إلخ ، أما الثاني فهو يرتب الأمور الأوائل على عناوين مثل : بدء الخلق ، الطهارة ، الصلاة ، الجنائز ، الزكاة ، الصوم ، الحج والفرائض ، الجهاد ، اللباس ، الأسامي والألقاب ، الأطعمة ، المبعث النبوي ، الأمثال . . إلخ . .

مصادر اليعقوبي التاريخية :

يؤخذ على اليعقوبي أنه لم يذكر مصادره التي اعتمد عليها في رصد ما احتوى عليه الكتاب من معلومات ، ولم يضع مقدمة لكتابه يشير فيها إلى تلك المصادر كما فعل في مقدمة كتابه «التأريخ» ، وكما كانت العادة لدى معاصريه ، ونادراً ما يسند معلومة إلى قائلها في صلب الكتاب . فلم يظهر الإسناد إلا مرتين اثنتين فقط ، أسند إحداها أقوالاً إلى سعيد بن المسيب (ت ٩٣/ ٩٤هـ - ٧١١/ ٧١٣م) أما الثانية فقد أسند فيها أقوالاً إلى عبدالله بن عتبة بن مسعود (ت ٧٣/ ٧٤هـ - ٦٩١/ ٦٩٣م) . والمتصفح للمعلومات الواردة في الكتاب يجد أن لها أصولاً في كتابه التاريخ - الجزء الثاني - مما يدعونا إلى الأخذ بأن مصادر اليعقوبي التاريخية لم تتغير بالنسبة للكتابين ويمكن حصر أسماء الذي روى عنهم اليعقوبي كما وردت في مقدمة الجزء الثاني من كتاب التاريخ حيث يقول :

---

(١٧) ياقوت ، معجم الأدباء ، مجـ١٤ ، ص١٣٨ .

«وكان من رَوَيْنا عنه في هذا الكتاب : إسحاق بن سليمان بن علي الهاشمي عن أشياخ بني هاشم ، وأبو البختري وهب بن وهب القرشي عن جعفر بن محمد وغيره من رجاله ، وأبان بن عثمان عن جعفر بن محمد ، ومحمد بن عمر الواقدي عن موسى بن عقبة وغيره من رجاله ، وعبدالملك بن هشام بن زياد بن عبدالله البكّائي عن محمد بن إسحاق المطلبي ، وأبو حسان الزيادي عن أبي المنذر الكلبي وغيره من رجاله وعيسى بن يزيد بن دأب ، والهيثم بن عدي الطائي عن عبدالله بن عباس الهمدانيّ ، ومحمد بن كثير القرشي عن أبي صالح وغيره من رجاله ، وعلي بن محمد بن عبدالله بن سيف المدائني وأبو معشر المدني ومحمد بن موسى الخوارزمي المنجم - وماشاءالله الحاسب في طوالع السنين والأوقات ، وأثبتنا عن غير هؤلاء الذين سمينا جملاً جاء بها غيرهم ورواها سواهم وعلمناها من سير الخلفاء وأخبارهم(١٨)» يضاف إلى تلك المصادر خبرة اليعقوبي الواسعة التي اكتسبها من معاصرته لعدد من الخلفاء العباسيين وهم المعتصم والواثق والمتوكل والمنتصر والمستعين والمعتز والمهتدي بالله والمعتمد على الله ثم المعتضد ، بالإضافة إلى إقامته في عدد من أقاليم الدولة الإسلامية متمتعاً برعاية ذوي الأمر فيها ، مما أتاح له التعرف عن قرب من خلال مشاهداته ومعاملاته على الأخلاق والعادات التي كانت سائدة ، فكانت حصيلته مصدراً هاماً لكتابته .

عرض وتحليل محتوى الكتاب :

يمكن تقسيم الكتاب إلى ثلاثة فصول تمثل العهود الثلاثة التي تناولها وهي الفصل الأول للعهد الراشدي والفصل الثاني للعهد الأموي والفصل الثالث للعهد العباسي . ويستطيع القارىء من خلال تتبعه للأمور التي سادت في تلك العهود ، أن يشكل لنفسه مجموعة من الصور الذهنية المختلفة في الشكل والمضمون . ويمكن إرجاع ذلك إلى اختلاف الفترة الزمنية التي عاش فيها كل خليفة وما تميزت به من خصائص ثقافية واجتماعية ودينية ، بالإضافة إلى الصفات الذاتية لكل خليفة ، وهي عوامل حاكمة لأخلاقه وأقواله وأفعاله . ويمكن أن نضيف عاملاً آخر يتمثل في عاطفة الكاتب تجاه عهد من العهود أو تجاه خليفة دون آخر ، لذلك فمن الطبيعي أن تتنوع الصور الذهنية بتنوع الأمور المختارة من قبل المؤلف حتى في الفصل الواحد الذي يمثل عهداً بعينه .

يذكر المؤلف في بداية الفصل الأول صفاتاً مشتركة بين خليفتين هما أبو بكر الصديق وعمر بن الخطاب رضي الله عنهما ، تتمثل في التواضع والزهد والخشونة في الملبس والمطعم بالإضافة إلى الحزم في أمور الدين والدولة ، وقد تمثل بهذه الصفات عمالهما في الأقاليم . وفي بيان الأمور المرتبطة بالخليفة عثمان بن عفان ، رضي الله عنه ، وعماله في الأقاليم ، خص بالذكر جوانب أخرى تتمثل في السماحة والجود وصلة الأرحام ورفع القرابة واتخاذ المال ، تاركاً للقارىء أن يحدد لنفسه رأياً في

(١٨) اليعقوبي ، تاريخ ، جـ٢ ، ص٦ .

ذلك ، ولم يحاول أن يذكر أو يوضح بأن الخليفة عثمان لم يكن يستحل أموال المسلمين لا له ولا لغيره من الناس ، وأنه ساوى بين الناس في العطاء ، وأنه كان يعطي أقرباءه من ماله الخاص ، وكذلك كان عماله . يؤكد ذلك ما يذكره الذهبي في كتابه دول الإسلام عن الخليفة عثمان حيث يقول «وكثر الخراج على عثمان ، وأتاه المال من النواحي ، فاتخذ له الخزائن بالمدينة وكان يقسم بين الناس فيأمر للرجل بمائة ألف درهم»(١٩) ، أضف إلى ذلك ما يذكره الذهبي عن بعض عمال الخليفة عثمان الذين تشبهوا به وسلكوا سبيله في الجود ومنهم الزبير بن العوام وطلحة بن عبيدالله ، فالزبير «كان كثير المتاجر والأموال ، وقد قيل : كان له ألف مملوك يؤدون له الخراج ، فربما تصدق بذلك في مجلسه» ، أما طلحة فكان يُدعى «طلحة الفياض» و «طلحة الجود» ، يقال : «إنه فرّق في يوم واحد سبعمائة ألف درهم من ماله الخاص»(٢٠) .

أنهى المؤلف هذا الفصل بذكر الأمور المتعلقة بالخليفة علي بن أبي طالب رضي الله عنه من خلال كلمات موجزة تدل على «انشغاله بالحرب وأنه لم يلبس ثوباً جديداً ، ولم يتخذ ضيعة ولم يعقد على مال ، وأُخذت عنه الخطب . . » ومن هذا الوصف تتمايز الصور الذهنية لدى القارىء عن الخليفتين عثمان وعلي رضي الله عنهما .

كان الأحرى باليعقوبي أن يعطي تفسيراً للوضع المالي لكل منهما ، فيذكر مثلاً أن الخليفة عثمان كان تاجراً موسراً يتصف بالجود والكرم والتصدق بماله الخاص ، وأن الخليفة علي كان يكسب ماله من كده وعرقه ، وكان كذلك كريماً وجواداً وأنه رحمه الله كانت له ضيعتان في ينبع جعلهما صدقة لفقراء أهل المدينة وابن السبيل بعد وفاته وفيما يلي نص كتابه في ذلك «ياقوت ، بلدان ، ٤ : ١٧٦) : «بسم الله الرحمن الرحيم ، هذا ما تصدق به عبدالله علي أمير المؤمنين تصدق بالضيعتين بعين أبي نيزر والبُغَيْبغَة على فقراء أهل المدينة وابن السبيل ، ليقي بهما وجهه حرّ النار يوم القيامة ، لا تُباعا ولا تُوهبا حتى يرثهما الله ، وهو خير الوارثين ، إلا أن يحتاج إليهما الحسن والحسين فهما طلق لهما وليس لأحد غيرهما» .

من ذلك الوصف يمكن الاعتقاد - لأول وهلة - بميل اليعقوبي عاطفياً نحو الخليفة علي ، وهذا أمر إن أُخذ في الحسبان يمكن تفسيره بتشيُّع في المؤلف ، خاصة إذا أخذنا بحرفية الكلام لذكره عبارة «عليه السلام» في عقب اسم الخليفة ، إلا أن ذلك ليس بالدليل القاطع ، لأن تلك العبارة ذكرت مرة واحدة فقط ، وربما تكون من فعل الناسخ . والدليل على ذلك الاختلاف بين مخطوطات كتاب البلدان لليعقوبي ، فبعضها يشتمل على مثل هذه العبارة أو عبارة «ﷺ» وبعضها الآخر خالٍ من مثل هذه العبارات ، وهذا يدعونا إرجاع ذلك على من نسخ المخطوطة .

---

(١٩) الذهبي ، دول الإسلام ، جـ١ ، ص٢٤ .
(٢٠) نفس المرجع ص ص ٣٠ - ٣١ .

يذكر المؤلف في الفصل الثاني من خصائص الخلفاء الأمويين بعض الأمور التي اختلفت سلوكياتها عما ساد في العهد الراشدي ، بدأها بالاهتمام الكبيربمظاهر الأُبهة في الملك من بناء القصور واتخاذ الحرس والشرطة والحُجَّاب ولبس الخزّ والوشي ، واتخاذ الصّوافي والضياع وأول من تمثل بذلك معاوية بن أبي سفيان ، وغلب ذلك على عماله ، ثم خص المؤلف كل خليفة بعد معاوية بأمور وأفعال - غلبت كذلك على أصحابه وعماله - يُستدل من طبيعتها الميل في جملتها إلى الجانب السيء من شخصية الخليفة ، وقد استثنى من ذلك الخليفة عمر بن عبدالعزيز ، كما تحاشى ذكر الخليفة معاوية بن يزيد بن معاوية ، ولم يذكر للوليد بن عبدالملك حسنة سوى بناء المساجد .

يمكن إرجاع موقف اليعقوبي في اختياره لهذه الأمور إلى تحيُّزٍ في نفسه ضد الأمويين ، فهو الكاتب العباسي النشأة والتربية الذي لم يستطع إخفاء ذلك التحيز في وصفه لكل من الشام والعراق ، فالشام وهي دار ملك الأمويين قال فيها : «بأنها الوبية الهواء الضيقة المنازل الحزنة الأرض المتصلة الطواعين الجافية الأهل»[٢١] . أما العراق وهي دار ملك العباسيين فقد وصفها بأنها «وسط الدنيا وسرّة الأرض» . . . وباعتدال الهواء بها وطيب الثرى وعُذوبة الماء حسنت أخلاق أهلها ونضرت وجوههم وانفتقت أذهانهم حتى فضلوا الناس في العلم والفهم والأدب والنظر . . »[٢٢] .

يمكن تتبع الأمور التي خصّ بها اليعقوبي هؤلاء الخلفاء ، فيزيد بن معاوية صاحب طرد وجوارح وكلاب ولهو ومنادمة على الشراب ، وعبدالملك بن مروان فيه صرامة وحزم وبخل وحب للشعر والفخر والمديح وإقدام على الدماء ، والوليد بن عبدالملك جبار عنيد ظلوم ، ويزيد بن عبدالملك غلبت عليه جارية ، وهشام بن عبدالملك خشن فظ بخيل ، والوليد بن يزيد كان متهتكاً ماجناً خليعاً ، اطلق العنان للشراب واللهو والطرب وسماع الغناء ، ومروان بن محمد بن مروان أظهر العصبية وأوقعها بين الناس . أما الخليفة عمر بن عبدالعزيز فقد وصفه بما فيه من تواضع ونسك وتزهد ودين وتقرب لأهل الفضل . . رفع عن الناس ما كانوا فيه من جور وظلم . ومنع لعن عليّ بن أبي طالب على المنابر وجعل مكانه : «اللهم اغفر لنا ولإخواننا الذين سبقونا بالإيمان ولا تجعل في قلوبنا غلاّ للذين آمنوا ربنا إنك رؤوف رحيم » والوليد بن عبد الملك يشهد له اليعقوبي في كتابه التاريخ بأمور حسنة كثيرة فهو يقول : «وكان الوليد أول من عمل البيمارستان للمرضى ، ودار الضيافة ، وأول من أجرى طعام شهر رمضان في المساجد ، وصام الإثنين والخميس فأدمنه . . »[٢٣] . . إلخ . أما الخليفة الذي لم يأت على ذكره في هذا الكتاب فهو معاوية بن يزيد بن

(٢١) اليعقوبي ، كتاب البلدان ، ص ٦ ، مضيوف الفرا ، اليعقوبي الجغرافي المؤرخ ، ص ٨٦ .
(٢٢) اليعقوبي ، كتاب البلدان ، ص ٥ ، مضيوف الفرا ، اليعقوبي الجغرافي المؤرخ ، ص ٨٥ .
(٢٣) اليعقوبي ، تاريخ ، جـ٢ ، ص ص ٢٩٠ - ٢٩١ .

معاوية فقد ذكره في تاريخه[٢٤] ووصفه بأن له مذهباً جميلاً ، وقد أورد خطبته في الناس يوم ملك . . ومنها يستدل على رفضه لتصرفات والده يزيد بن معاوية ووصفه له بأنه لم يكن خليقاً للخير ، فركب هواه واستحسن خطأه وعظم رجاؤه فأخلف الأمل . . إلخ .

يلاحظ القارىء في الفصل الثالث بعض الأمور التي يذكرها المؤلف عن الخلفاء العباسيين تمثل جانبيْ الشخصية الإنسانية الحسن منها وغير الحسن ، الأمر الذي يجعلنا نشعر معه بحياد في طبيعة كلامه . وقد خص اليعقوبي لقب أمير المؤمنين لاثنين من الخلفاء العباسيين هما : أبو العباس السفاح والمأمون . ولم يذكر من أمور السفاح إلا أمرين ، الأول ، أنه أحيا سُنَّة رسول الله ﷺ عندما خطب على المنبر واقفاً ، والثاني ، أنه كان سريعاً إلى الأمر بسفك الدماء فتمثل بذلك عماله . أما أبو جعفر المنصور فخصه بكثير من الأمور ، فكان أول هاشمي أوقع الفرقة بين ولد العباس بن عبدالمطلب وأبي طالب بن عبدالمطلب ، وأول من اتخذ المنجمين وعمل بالنجوم ، وأول خليفة ترجم الكتب القديمة ونقلها إلى اللسان العربي ، ونظر في العلم وروى الحديث ، وكان أوّل خليفة بنى مدينة فنزلها وهي مدينة بغداد ، كما أنه أول خليفة استعمل مواليه وغلمانهم وقدمهم على العرب ، فامتثلت ذلك الخلفاء من ولده بعده . ولما تعرض لذكر الخليفة المهدي وصفه بأنه كان سمحاً سخياً كريماً جواداً بالأموال فذهب الناس مذهبه ، وهو أوّل خليفة أمر المتكلمين أن يضعوا الكتب للرد على الزنادقة وأهل الإلحاد ، وبنى المسجد الحرام ومسجد الرسول بعد أن هدمته الزلازل . ويذكر الذهبي أن المهدي قد فرق على الناس مبلغاً كان قد تبقى في خزائن أبيه ومقداره مائة ألف ألف درهم وستين ألف درهم[٢٥] . أما الأمور التي خص بها موسى بن المهدي فهي كانت على النقيض من أمور هارون الرشيد بن المهدي ، فالأول كان جباراً مشت الرجال بين يديه بالسيوف المسللة ، فتشبه عماله به ، أما الثاني فكان متابعاً للحج والغزو وبناء السدود والقصور فتشبه أهله وعماله وأصحابه وكتّابه به ، وكانت أيامه توصف بأيام العرس لكثرة المفضلين فيها ، وكان يشجع الألعاب الرياضية وقدم اللعاب وأجرى عليهم الأرزاق ، ونافسته في جده وهزله زوجته أم جعفر وأثارها في كلا الجانبين مبثوثة في كتب التاريخ . وكذلك الحال في أمور كل من الأمين والمأمون ، فمحمد الأمين بن الرشيد قدم الخدم وآثرهم ورفع منازلهم ، وقد وصفه الذهبي بأنه كان مبذراً للأموال لعّاباً[٢٦] . وعلى النقيض منه نجد المأمون الذي كان أول خليفة كتب على عنوانات كتبه «بسم الله الرحمن الرحيم» وأول من أرّخ الكتب باسم كاتبها ، وجالس المتعلمين والفقهاء والأدباء وأقدمهم من البلدان وأجرى لهم الأرزاق ، وكان أكرم الناس عفواً وأحسنهم قدرة وأجودهم بالمال وأبذلهم في العطايا ، إلا أنه كان في بداية أمره يذهب مذهب ملوك الفرس ، وقال بخلق القرآن ، وهما أمران سار عليهما

(٢٤) نفس المرجع ، ص ٢٥٤ .
(٢٥) الذهبي ، دول الإسلام ، جـ١ ص ١١٢ .
(٢٦) نفس المرجع ، ص ١٢٤ .

الخليفة المعتصم الذي غلبت عليه الفروسية والتشبُّه بالعجم فاستخدم آلاتهم وملابسهم وامتحن العلماء بخلق القرآن ، ولما ولي المتوكل أبطل ذلك وأمر بإظهار القول بالسنة والجماعة ونهى عن الجدل ، إلا أنه أظهر العبث وأطلق في مجلسه الهزل والمضاحيك وأشياء رفض المؤلف الإفصاح عنها والإشارة إليها[٢٧] .

تابع اليعقوبي في هذا الفصل بيان أمور باقي الخلفاء العباسيين حتى المعتضد الذي وصفه بالشهامة والحزم ، فالمنتصر كان بخيلاً ، وكان كذلك وزيره أحمد بن الخصيب ، والمستعين شغل نفسه عن كل شيء بما تهيأ عليه من المخالفة والخلع ، وكان أول من أحدث لبس الأكمام الواسعة وصغَّر القلانس . والمعتز كان أول خليفة ركب بحلية الذهب فقلده الناس . وعلى النقيض من هؤلاء الخلفاء كان الخليفة المهتدي الذي ذهب إلى القضاء في الدين وجلس للمظالم ووقّع بخطه وقرَّب الفقهاء[٢٨] ، وكان في بني العباس أشبه بالخليفة عمر بن عبدالعزيز في بني أمية . أما المعتمد فكان أول خليفة قُهر وحُجر عليه لأنه آثر اللذة وعكف على الملاهي .

بعد هذا العرض لمحتوى الكتاب يستطيع المرء أن يخرج بنتيجة واضحة تتمثل في أن اليعقوبي استطاع أن يضع أمام القارىء نماذج مختلفة للتقاليد التي سار عليها الناس في دولة الإسلام على مدى ثلاثة قرون تقريباً ، كان الأصل فيها ، تقليد الخلفاء والحكام في كل عصر . وكان المؤلف يعطي الدليل تلو الدليل ليثبت ما ذهب إليه . وقد ثبت لنا من خلال عرضه الأمور الأوائل التي تخص كل خليفة أنه لم يخل من تحيز في نفسه للخلفاء العباسيين على حساب الخلفاء الأمويين ، حيث تناول محاسن ومساوىء العباسيين ، في حين لم يتعرض لمحاسن الأمويين باستثناء الخليفة عمر بن عبد العزيز ، ورغم ذلك فقد نجح المؤلف في تأكيد تعميم يقول بأن صلاح الأمة يتبع صلاح السلطان ، وكان أسلوبه في ذلك عذباً وعرضه شائقاً لا يشعر معه القارىء بالملل .

والآن أترك القارىء مع نص الكتاب .

والله الـمـــوفـق ، ،

---

(٢٧) يذكر الذهبي في دول الإسلام ، جـ١ ، ص ١٤٩ ، إن المتوكل أحيا السنة وأمات بدعة القول بخلق القرآن ولكنه في نصب وانهماك على اللهو والمكاره ، وفيه كرمٌ زائد .

(٢٨) يذكر الذهبي في دول الإسلام جـ١ ، ص ١٥٥ أنه كان ديِّناً ورعاً وعابداً صارماً شجاعاً خليقاً للإمارة .

(٢٩) الذهبي ، دول الإسلام ، جـ١ ، ص ١٦٩ ، وصف المعتمد بأنه كان مُنهمِكاً على اللهو والملذات يَسْكر ويعربد .

بسم الله الرحمن الرحيم
وصلى الله على سيدنـا محمـد

«كتاب مشاكلة الناس لزمانهم وما يغلب عليهم في كل عصر»

قال الشيخ الإمام الحافظ العلّامة أحمد بن أبي يعقوب بن جعفر بن واضح رحمه الله : فأما الخلفاء وملوك الإسـلام ، فإن المسلمـين في كل عصر تبـع للخليفة يسلكون سبيله ويذهبون مذاهبه ، ويعملون على قدر ما يرونه منه ، ولا يخرجون عن أخلاقه وأفعاله وأقواله . .

[الفصـل الأول]
[ذكر الخلفـاء الراشـدين] [1]

فكان أبو بكر بعد رسول الله ﷺ أزهد الناس وأشدهم تواضعاً وتقلّلاً في لباسه ، وكان يلبس وهو خليفة الشملة[2] والعباءة . وقدمت عليه أشراف العرب وملوك اليمن وعليهم التيجان وبرود الوشي والحِبَر[3] ، فلما رأى القوم تواضعه ولباسة نزعوا ماكان عليهم وذهبوا مذهبه واقتفوا أثره . وكان ذو الكلاع[4] ملك حِمْيَر فيمن قدم على أبي بكر في عشيرته وقومه وعليه التاج ، وكان له عشرة ألف عبد خولا في مخاليفه ، فلمارأى لباس أبي بكر قال : ما ينبغي لنا أن نفعل بخلاف ما عليه خليفة رسول الله ﷺ ، فنزع لباسة الأول وتشبه بأبي بكر ، حتى أنه رُؤي[5] في سوق المدينة يحمل جلد شاة على قفـاه ، فقـالت له عشـيرتـه وقـومـه : فضحتنا ، أنت سيدنا تحمل شاة بين المهاجرين والأنصار . قال : أفأردتم[6] منّي أن أكون جبّاراً في الجاهلية جباراً في الإسلام .

وكان الأشعث بن قيس[7] ملك كِنْدة يلبس التاج ويُحَيّا بتحية الملوك فلما أسلم بعد ارتداده وزوّجه أبو بكر أخته أم فروة بنت أبي قحافة تواضع بعد التكبُّر ، وتذلّل بعد التجبُّر ، حتى كان يشد عليه شملة خلقة ، ثم يهنأ[8] البعير بيده تشبها بأبي بكر واطِّراحاً للأخلاق التي كان عليها في الجاهلية .

وكان أبو بكر رحمه الله لا يحمل أحداً من الأشراف على التجاوز ، حتى إنه بلغه عن أبي سفيان

---

(١) الإضافة عنوان لما بعده .
(٢) ابن منظور ، لسان العرب ، ١١ : ٣٦٨ الشملة عند العرب مئزر من صوف أو شعر يؤتزر به .
(٣) لسان العرب ٤ : ١٥٩ الحبرة والحبرة : ضرب من برود اليمن منمر ، والجمع حبر وحبرات .
(٤) يذكر خليفة بن خياط في تاريخه : ١٩٤ أن ذا الكلاع قتل مع معاوية في صفين عام ٣٨هـ (٦٥٨/ ٦٥٩م) .
(٥) في الأصل : رءى .
(٦) في الأصل وفي طبعة ملورد : فأردتم .
(٧) توفي الأشعث بن قيس عام ٤٠هـ (٦٦٠/ ٦٦١م) انظر خليفة بن خياط ١٩٩ ، العسقلاني ، تهذيب ١ : ٣٥٩ .
(٨) ورد في هامش المخطوطة : يدهنه بالكبريت ونحوه «لسان العربي ١ : ١٨٦ - ١٨٧ : الهناء ضرب من القطران ، وقد هنأ الإبل يهنئوها ويهنئها هنئا وهناء : طلاها بالهناء .

بن حرب أمرٌ[٩] يكرهه ، فدعا به ، فجعل يصيح عليه ، وأبو سفيان يتذلل له ويتواضع بين يديه ، وأقبل أبو قحافة[١٠] يقوده قائده وكان قد عَمي فسمع صياح أبي بكر ، فقال لقائده : على من يصيح أبو بكر ؟ قال : على أبي سفيان بن حرب . قال أيا عتيق[١١] : أعلى أبي سفيان ترفع صوتك ؟ لقد تعديت طورك ، فقال : يا أبه إن الله قد رفع بالإسلام قوماً ووضع به آخرين .

وكان عمر بن الخطاب رحمه الله تعالى مع تواضعه وخشونة ملبسه ومطعمه شديداً في ذات الله . فكان عماله وسائر من يحضره أو يغيب عنه يتشبهون [به][١٢] ولا يفارق أحد من أصحاب رسول الله ﷺ . وكان يلبس الجبة الصوف ويشتمل بالعباءة ، ويهنأ البعير ، ويحمل قربة[١٣] الماء على ظهره لأهله .

وكان العامل من عماله ، وهم أمراء الأمصار (والأجناد)[١٤] ، وقد فتح الله عليهم وخوّلهم ومكّن لهم وأغناهم وأكفاهم ، يتحفون ويخلعون النعال ولا يلبسون الخفاف ، ويلبسون غلاظ الثياب . وإذا قدموا عليه شعثاً غبراً ، غلاظاً ثيابهم ، شحبة ألوانهم ، فإن رآهم أو بلغه عنهم غير ذلك أنكره عليهم ، وكان ركوبهم الإبل أكثر من ركوبهم للخيل على التشبه بعمر وسلوك فعله ، وما كانوا عليه على عهد رسول الله ﷺ ، حتى إنه رؤى على أبي عبيدة بن الجراح[١٥] وهو أمير الشام ، وقد فتحها الله عليه ، جُبَّة صوف قد تغيرت رائحتها ، فقال أبو عبيدة : لقد جلست إلى رسول الله ﷺ فيها هو أشدُّ رائحة من هذا فما أنكره .

وكان سلمان الفارسي عامل عمر بن الخطاب على المدائن ، وكان يلبس غليظ الثياب ويركب الحمارة ببرذعة مرسّنة بحبل ليف . وحضرته الوفاة فأتاه سعد بن أبي وقاص فقال له : أوصني يا أبا عبدالله . فقال : نعم ، أذكر الله عند همك إذا هممت ، وعند لسانك إذا حكيت[١٦] ، وعند يدك إذا قسمت . وجعل سلمان يبكي فقال له : يا أبا عبدالله ، ما يُبكيك ؟ قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول : إن في الآخرة عقبة لا يقطعها إلا المُخِفّون . وأرى هذه الأساودَ حولي . فنظرنا فما رأينا إلا إداوة أو ركوة أو قدراً أو مَطْهرة .

---

(٩) في الأصل وفي طبعه ملورد : أمرا . والصحيح أمر وموقعها من الإعراب . فاعل بلغ .

(١٠) أبو قحافة هو عثمان بن عامر بن عمرو بن كعب بن سعد بن تيم بن مرة (انظر طبقات خليفة : ١٧) .

(١١) في الأصل : أبا ، وفي طبعة ملورد : أبو . والصحيح أبا حيث يقال بأن عتيق كان من أسماء أبي بكر (انظر خليفة ، طبقات : ١٧ ، السيوطي ، الوسائل في مُسامرة الأوائل ، ص ٧٠ .

(١٢) الإضافة من المحقق يقتضيها سياق الكلام وكمال المعنى .

(١٣) في الأصل : القربة . قال قتادة : كان عمر يلبس جُبَّة صوف مرقوعة بأدم (الذهبي ، دول الإسلام ١ : ١٩) .

(١٤) في الأصل بالحاشية .

(١٥) اسم أبي عبيدة : عامر بن عبدالله بن الجراح بن هلال بن وهيب بن ضبَّة بن الحارث بن فهر بن مالك بن النضر بن كنانة ، مات أبو عبيدة في طاعون عمواس بالشام عام ١٨هـ/ ٦٣٩م (انظر خليفة : طبقات : ٢٧ ، ٣٠٠ وابن حزم : جمهرة الأنساب : ١٧٦ .

(١٦) في الأصل : حكت .

وولّى عمر بن الخطاب عمير بن سعد الأنصاري جند حِمص ، فأقام حولاً ثم انصرف على جَمَلِه على الحال التي مضي من عند عمر بها . فقال عمر : وَيْح قوم وُلّيت عليهم أما عرفوا لك حقاً ؟ أو كما قال . .

وحجّ عمر بن الخطاب فقال لابنه عبدالله : كم أنفقنا في حجّتنا ؟ فقال : ستة عشر ديناراً، فقال : لقد أسرفنا في هذا المال .

وكان عثمان بن عفان رحمه الله في السماحة والجود وصلة الأرحام ورفع القرابة واتخاذ المال على ما كان عليه ، فامتثل الناس فعله ، فبنى عثمان داره بالمدينة ، وأنفق عليها مالاً جليلاً ، وشيدها بالحجارة ، وجعل على أبوابه مصاريع الساج ، واتخذ أموالاً بالمدينة وعيونا وإبلاً . قال عبدالله بن عتبة(١٧) : كان لعثمان بن عفان يوم مات عند خازنه مائة ألف وخمسون ألف دينار وألف ألف درهم . وكانت ضياعه بئر أريس(١٨) وخيبر ووادي القرى قيمته مائتا ألف دينار ، وخلف خيلا وإبلا . وفي أيام عثمان اتخذ أصحاب رسول الله ﷺ الأموال وبنوا الدور . فبنى(١٩) الزبير بن العوام(٢٠) داره المشهورة بالبصرة وفيها الأسواق والتجارات ، وبنى الزبير أيضاً داراً بالكوفة وداراً بمصر وداراً بالاسكندرية ، وبلغ مال الزبير خمسين ألف دينار ، وترك ألف فرس وألف مملوك ، وخِططاً بمصر والاسكندرية والكوفة والبصرة .

وبنى طلحة بن عبيدالله(٢١) دوراً وعقارات قُوِّمت بمائة ألف دينار . وكانت غلته بالعراق في كل يوم ألف وافٍ ، وغلته بالشام عشرة آلاف دينار . وبنى داره بالجص والآجر والساج وترك من الذهب والفضة مالاً جليلاً .

وبنى عبدالرحمن بن عوف(٢٢) داره فوسعها ، وكان له ألف بعير وعشرة آلاف شاة ومائة فرس . وبلغ ربع ثمن ماله أربعة وثمانين ألف دينار . وبنى سعد بن أبي وقاص داره بالعقيق(٢٣) فشيدها

---

(١٧) عبدالله بن عتبة بن مسعود بن غافل بن حبيب بن شمخ بن فأر بن صاهلة بن الحارث بن تميم بن سعد بن هذيل ، يكنى أبا عبدالرحمن وَلي القضاء بالبصرة من قِبَل مصعب بن الزبير ، مات سنة ٧٤هـ/ ٦٩٣م انظر العسقلاني ، تهذيب ، ٥ : ٣١٢ ، خليفة ، طبقات : ١٤١ - ١٤٢ ، تاريخ خليفة : ٢٦٩ .

(١٨) يذكر أبو الفداء ، تقويم البلدان : ٨٧ أن بئر أريس بالمدينة وهو البئر الذي سقط فيها خاتم النبي ﷺ من يد عثمان وجدّ في طلبه فلم يجده .

(١٩) في الأصل : وبنا .

(٢٠) الزبير بن العوام بن خويلد بن أسد بن عبدالعزّى بن قصيّ . يكنى أبا عبدالله ، استشهد في سفوان من ناحية البصرة سنة ٣٦هـ (٦٥٦/ ٦٥٧م) انظر خليفة ، طبقات : ١٣ .

(٢١) طلحة بن عبيدالله بن عثمان بن عمرو بن كعب بن سعد بن تميم بن مرة ، يكنى أبا محمد ، قُتل يوم الجمل بالبصرة عام ٣٦هـ/ ٦٥٦ - ٦٥٧م . انظر خليفة ، طبقات : ١٨ . ١٨٩ ، تاريخ اليعقوبي ، ٢ : ٤٧ ، ١٢٩ ، ١٥٨ ، ١٦٠ ، ١٧٨ ، ١٨٠ - ١٨٢ ، ١٨٧ .

(٢٢) عبد الرحمن بن عوف بن عبد بن عوف بن عبدالحارث بن زهرة بن كلاب بن مرة بن كعب بن لؤى ، ويكنى أبا محمد ، مات بالمدينة عام ٣٢هـ/ ٦٥٢ (خليفة ، طبقات : ١٥) .

(٢٣) المقصور : عقيق المدينة (انظر ياقوت : تقويم البلدان ٤ : ١٣٨ - ١٤١ .

وجعل لها شرافات . قال سعيد بن المسيب[٢٤] : وترك زيد بن ثابت[٢٥] من الذهب والفضة ما كان يُكسر بالفئو س ، ومالاً وضياعاً وعيوناً مبلغها مائة ألف وخمسون ألف دينار ، وترك يَعْلي بن منبه التميمي[٢٦] خمسمائة ألف دينار وعقارات وضياعاً وعيوناً بقيمة ثلاثمائة ألف دينار . وبنى المقداد[٢٧] قصره بالجُرْف[٢٨] باللّبن ، وجصص باطنه وظاهره ، وجعل له شرافات ولم يفعل أحد من الناس هذا على عهد عُمر وإنما فعلوه بعده .

وكـان علي بن أبي طالب (رضي الله عنـه)[٢٩] مشغـلاً أيامه كلها بالحرب إلا أنه لم يلبس ثوباً جديداً ، ولم يتخذ ضيعة ، ولم يعقد على مال ، إلا ما كان له بينبع والبُغَيْبِغَة[٣٠] مما تصدق به . وحفظ الناس عنه الخطب ، فإنه خطب بأربعمائة خطبة حُفظت عنه ، وهي التي تدور بين الناس ويستعملونها في خطبهم وكلامهم .

---

(٢٤) سعيد بن المسيب بن حزن بن أبي وهب بن عمرو بن عائذ بن عمران بن مخزوم ، يكنى أبا محمد ، توفي سنة ٩٣هـ أو ٩٤هـ (٧١١ - ٧١٣) . كان سعيد أحد الفقهاء السبعة بالمدينة ، سمع سعد بن أبي وقاص الزهري وأبا هريرة رضي الله عنهما ، وأكثر روايته المسند عن أبي هريرة رضي الله عنه ، وكان زوج ابنته . (راجع ترجمة سعيد بن المسيب في طبقات ابن سعد ٥ : ١١٩ ، خليفة ، طبقات ٢٤٤ ، العسقلاني ، تهذيب ٤ : ٨٤ وابن خلكان ، وفيات ٢ : ٣٧٥) .

(٢٥) زيد بن ثابت بن الضحّاك بن زيد بن لوذان بن عمرو بن عبد بن عوف بن غنم بن مالك بن النجار ، يكنى أبا سعيد ، مات سنة ٤٥هـ/ ٦٥٥م راجع خليفة ، طبقات ٨٩ - ٩٠ ، الذهبي ، تاريخ الإسلام ، ١ : ٣١ .

(٢٦) يَعْلي بن مرة بن وهب بن جابر بن عتاب بن مالك بن كعب بن عمرو بن سعد بن عوف بن قِسِيّ بن منبه ، (خليفة ، طبقات : ٥٣) وهو عامل عمر وعثمان على اليمن (تاريخ اليعقوبي ٢ : ١٥٧ ، ١٦١ ، ١٧٦ ، ١٨١) ويذكر ياقوت ، (معجم البلدان ٢ : ٤٠٧) أن يعلي بن منبه كان أمير مخلاف خولان باليمن عندما افتتح هذا المخلاف في أيام عمر بن الخطاب ، رضي الله عنه .

(٢٧) هو المقداد بن عمرو بن ثعلبة بن مالك بن ربيعة بن ثمامة بن مطرود بن عمرو بن دهير بن لؤى بن ينتهي نسبه إلى قضاعة ، وهو المعروف بالمقداد ابن الأسود ، توفي سنة ٣٣هـ/ ٦٥٤م (خليفة ، طبقات : ١٦ - ١٧) ، لزيادة التفاصيل عن المقداد راجع ابن حزم ، جمهرة : ٤٤١ ، ابن سعد ، طبقات ، ٣ : ١٦١ ، سيرة ابن هشام ١ : ٣٢٦ .

(٢٨) الجرف اسم لثلاثة مواضع : موضع على ثلاثة أميال من المدينة نحو الشام وموضع بالحيرة كانت به منازل المنذر ، وموضع قرب مكة (ياقوت ، بلدان ٢ : ١٢٨) .

(٢٩) في الأصل وفي طبعة ملورد : عليه السلام .

(٣٠) الكلمـة غير منقـوطـة في الأصل وكذلك في طبعة ملورد . والبغيبغة : البئر القريبة الرشا . وحول هذا الموضع انظر ياقوت ، بلدان (١ : ٤٦٩ - ٤٧٠ ، ٢ : ١٧٥ - ١٧٦) .

[الفصل الثاني]

[ذكر خلفاء بني أمية] (1)

وكان معاوية بن أبي سفيان ، فبنى القصور ، وشيد الدور وعلّى الستور ، واتخذ الحرس ، واتخذ الشرطة وأقام الحُجّاب ، وبنى(2) المقاصير في المساجد ، وركب الدَّواب الهماليج(3) بالسروج المصفّفة ، ولبس الخزّ والوشي ، واتخذ الصوافي والضياع ، وعُمل له الطراز باليمن وبمصر والاسكندرية والرّها(4)، فاتخذ أهله وولده وعماله ما اتخذ ، وفعلوا مثل ما فعل . فبنى عمرو بن العاص داره بمصر ، واتخذ لنفسه الضياع ، وغرس في ضيعته التي يقال لها الوَهْط(5) بالطائف ألف ألف عود كرم ، فكانت غلته عشرة آلاف ألف درهم ، وخلّف عمرو يوم مات ثلاثمائة ألف دينار . وقال لما حضرته الوفاة : ياليتها كانت مائة ألف دينار .

وفعل عبدالله(6) بن عامر بن كُرَيْز عامل معاوية بالبصرة مثل ذلك فحفر الأنهار وشيد الدور وبنى القصور واتخذ الضياع والأموال والأجنّة بالبصرة وبمكة والطائف .

وفعل زياد(7) عامل معاوية على العراق ذلك بالكوفة والبصرة وسائر العراق . واتخذ الضياع وبنى وشيد البنيان . وخلّف زياد يوم مات ستة آلاف ألف دينار (ومائة ألف درهم)(8) فأخذها معاوية . وهكذا كان معاوية يفعل بعماله(9) وربما شاطر ورثتهم(10) .

وفعل مَسْلمة بن مَخْلد(11) عامل معاوية على مصر مثل ذلك ، فاتخذ ضياعاً بمصر وقفها على قومه وخلّف يوم مات مائة ألف دينار وألف ألف درهم .

وجعل عُقبة بن عامر الجهني(12) ، وكان عامل معاوية أيضاً على مصر ، ضياعاً بمصر ، وحبس

---

(1) الإضافة من المحقق عنوان لما بعده .

(2) في الأصل بنا . حول ما تميز به معاوية راجع : أبو هلال العسكري ، الأوائل (٢ : ٣٨) .

(3) الهِمْلاج من البراذين ، واحد الهماليج ومشيها الهملجة . فارسي معرّب ، والمملاج : الحسن السير في سرعة وبخترة (انظر في لسان العرب : ٢ : ٣٩٢ - ٣٩٤) .

(4) الرها : مدينة قديمة تقع بالجزيرة بين الموصل والشام (انظر ياقوت ، بلدان ، ٣ : ١٠٦ - ١٠٧) .

(5) الوَهْط : قرية بالطائف كانت لعمرو بن العاص ، يذكر ياقوت ، بلدان (٥ : ٣٨٦) أن ابن الأعرابي قال : عرش عمرو ابن العاص بالوهط ألف ألف عود كرم على ألف ألف خشبة تباع كل خشبة بدرهم .

(6) «عبدالله» مكررة في النص . توفى عبدالله بن عامر بن كريز سنة ٥٩هـ/ ٦٧٩م (انظر تاريخ خليفة ٢٢٦) .

(7) هو زياد بن أبي سفيان ، يكنى أبا المغيرة ، مات سنة ٥٣هـ/ ٦٧٣م (خليفة ، طبقات : ١٩١) .

(8) الإضافة من الهامش .

(9) في الأصل : يقول لعماله .

(10) في الأصل ورثته (انظر تاريخ اليعقوبي ٢ : ٢٣٢) .

(11) مسلمة بن مخلد بن الصامت ، يكنى أبا معاوية ، توفى سنة ٥٩هـ/ ٦٧٨م (انظر خليفة ، طبقات : ٢٩٢ ، تاريخ خليفة ، ٩٨ ، ٢٢٧ ، ابن الكلبي ، النسب الكبير : ٢٨٤) .

(12) مات عقبة بن عامر الجهني سنة ٥٨هـ/ ٦٧٧م (انظر خليفة . طبقات : ١٢١ ، ٢٩٢ ، ابن عبدالبر ، الاستيعاب ، ٣ ، ٧٣ ، العسقلاني ، إصابة ، ٢ : ٤٨٢) .

بعضها ، وبنى داراً بمصر بالحجارة والجص ، وخلّف ثلاثين ألف دينار وسبعمائة ألف درهم .

وباع حُوَيْطِب بن عبد العُزّى[١٣] داراً من معاوية بأربعين ألف دينار ، فقيل له : يا أبا محمد أربعود ألفاً ؟ فقال : وما أربعون ألف دينار لرجل عليه ستة من العيال . وكان معاوية يقول أنا فَتَقْتُ[١٤] المُلْكَ . وكان يزيد بن معاوية صاحب طردْ[١٥] وجوارح وكلاب ولهو ومنادمة على الشراب ، فغلب ذلك على أصحابه . وفي عصره ظهر الغناء بمكة والمدينة واستعملت الملاهي ، وأظهر الأشراف الشراب .

ثم كان عبدالملك بن مروان ، فكان صارماً حازماً بخيلاً[١٦] ، يُحبُّ الشعر والفخر والتقريظ والمدح ، وكان في عصره فحول الشعراء جرير والفرزدق والأخطل وغيرهم . وكثر الشعر في أيام عبدالملك ، وامتدحت الشعراء الأمراء والأشراف وطلبت الثواب . وكان لعبدالملك إقدام على الدماء ومعاجلة . فكان عماله على مثل مذهبه ، الحجاج بالعراق[١٧] والمهلّب[١٨] بخراسان وهشام ابن إسماعيل المخزومي بالمدينة وعبدالله بن عبدالملك بمصر وموسى بن نصير اللخمي بالمغرب ومحمد ابن يوسف الثقفي أخو الحجاج باليمن ، ومحمد بن مروان بالجزيرة والموصل ، وكلهم جائرٌ ظالمٌ غشومٌ عسوف ، وكان الحجاج من أظلمهم وأقدمهم على الدماء .

وكان الوليد بن عبدالملك جباراً عنيداً ظلوماً ، وكان عماله في جميع البلدان على مثل مذهبه ، فكان عمر بن عبدالعزيز يقول : الوليد بالشام والحجاج بالعراق وعثمان بن حيّان[١٩] بالحجاز ومحمد ابن يوسف باليمن وقرة بن شريك[٢٠] بمصر وموسى بن نصير بإفريقيّة . امتلأت الأرض جَوْراً . ولم يعرف من مذهب الوليد شيءُ إلا بناؤه المساجد فإنه بني مسجد دمشق[٢١] .

---

(١٣) حُويطب بن عبدالعزّى بن أبي قيس بن عبد وُدّ بن نصر بن مالك بن حسل بن عامر بن لؤيّ ، مات سنة ٥٢هـ/ ٦٧٣م (انظر خليفة ، طبقات : ٣٧ ، تاريخ اليعقوبي ٢ : ٥٥ ، ٦٣ ، ١٦٧ ، العسقلاني ، تهذيب ، ٢ ، ٦٧) .

(١٤) في الأصل ضقت . وفتقت هنا بمعنى قوّمته ووسعته . (المعجم الوسيط : ٦٧٩) .

(١٥) الطرد : المطاردة في الصيد ، يقولون هذا يوم الطرد . (المعجم الوسيط ٢ : ٥٦٠) .

(١٦) أبو هلال العسكري ، الأوائل ١ : ٣٦٥ «كان يُكنى رشح الحجارة لبخله» . انظر تاريخ اليعقوبي ، ٢ : ٢٨٠ .

(١٧) الحجاج بن يوسف الثقفي ، توفى وهو ابن ثلاث وخمسين في سنة ٩٥هـ/ ٧١٣/ ٧١٤م . (لزيادة التفاصيل انظر تاريخ خليفة : ٣٠٧ ، المسعودي ، التنبيه والاشراف : ٢٧١ - ٢٧٤) .

(١٨) هو المهلّب بن أبي صفرة ، يكنى أبا سعيد ، مات سنة ٨١هـ أو ٨٢هـ (٧٧٠/ ٧٠١م) لزيادة التفاصيل عن المهلب انظر خليفة ، طبقات : ٢٠١ ، العسقلاني ، تهذيب ، ١٠ : ٣٣٠ .

(١٩) هو عثمان بن حيان المري (تاريخ خليفة : ٣١١ - ٣١٢ ، ٣١٧ ، ٣٢٨ ، ٣٣٠) .

(٢٠) قرّة بن شريك العبسي(تاريخ خليفة : ٣١١) .

(٢١) أورد اليعقوبي في تاريخه (٢ : ٢٩٠ - ٢٩١) مايلي : «وكان (الوليد) أول من عمل البيمارستان للمرضى ، ودار الضِّيافة ، وأول من أجرى على العميان والمساكين والمجذمين الأرزاق ، وكان ممن أحدث قتل العصاة ، وأحصى أهل الديوان ، وألقى منهم بشراً كثيراً بلغت عدّتهم عشرين ألفاً ، وأول من أجرى طعام شهر رمضان في المساجد ، وصام الاثنين والخميس فأدمنه ، وأول من أخذ بالقذف والظنّة وقتل بهما الرجال ، وانكسر الخراج في أيامه ، فلم يحمل كثير شيء» .

ثم كان سليمان بن عبد الملك بن مروان ، فكان صاحب طعام وأكل كثير يتجاوز المقدار ، ولباس الثياب الرّقاق وثياب الوشي وأردية[٢٢] وسراويلات[٢٣] وعمائم وقلانس[٢٤] ، فكان لا يدخل أحد من أهل بيته عليه إلا في الوشي ، وكذلك عماله وأصحابه وخدمه ومن في داره . وكان لباسه في ركوبه وجلوسه وعلى المنبر . وكان لا يدخل إليه أحد من خدمه إلّا في الوشي حتى الطباخ فإنه كان يدخل إليه في جُبّة وشي وطويلة وشي .

ثم كان عمر بن عبدالعزيز بن مروان ، فولي بتواضع ونسك وتزهد ودين وتقرب لأهل الفضل . فعزل عمال الوليد ، واستعمل أصلح من قدر عليه ، فكان عماله يذهبون مذهبه ، وارتفع عن الناس ماكانوا فيه من الجور والظلم ، وترك لَعْنَ علي بن أبي طالب (رضي الله عنه)[٢٥] على المنابر ، وجعل مكانه اللهم «اغفر لنا ولإخواننا الذين سبقونا بالإيمان ولا تجعل في قلوبنا غلاً للذين آمنوا ربنا إنك رؤوفٌ رحيم»[٢٦] فاستعمل الناس ذلك في الخطبة إلى هذه الغاية .

وكان يزيد بن عبدالملك ، فهو أول خليفة اتخذ قَيْنة وغَلَبَت على أمره امرأة ، فكانت حَبَابة[٢٧] . جاريته المغنية تُولّي وتعزل وتطلق وتحبس وتأمر وتنهي ، وكان مع ذلك يسرع إلى الدِّماء والأموال ، وعاود عماله ماكانوا عليه من الجور .

ثم كان هشام بن عبد الملك بن مروان ، كان خشناً فظًا غليظاً بخيلاً ، يجمع الأموال ويعمر الأرض ، ويستجيد كل شيء يُعمل له من الكسوة والفرش ، ويعاقب على التقصير فيه بأغلظ عقوبة . وفي أيامه عمل الخزّ الرّقم . وكان الناس جميعاً في أيام هشام على مثل مذهبه في منع ما بأيديهم وقلة الإفضال وانقطاع الرفد ، حتى إنه يقال لم ير زمان أصعب على الناس من زمانه ، وذلك أنه منع ما كانت الخلفاء تفعله من البذل والعطايا والجوائز والصلات ، فاستعمل الناس[٢٨] ذلك وسلكوا سبيله واقتدوا به . وقال له أبو خازم الأعرج : إنما أنتم سوق يُحمل إليكم ما نفق عندكم .

وكان الوليد بن يزيد بن عبدالملك صاحب شراب ولهو وطرب وسماع للغناء . وهو أول من حُمِل

---

(٢٢) أردية : مفردها رداء وهو ما يُلبس فوق الثياب كالجبة والعباءة (المعجم الوسيط مادة ردى) .

(٢٣) سراويلات : مفردها السراويل : لباس يغطي السرة والركبتين وما بينهما (يُذكّر ويؤنث) والجمع سراويلات . وهو لفظ فارسي معرّب (المعجم الوسيط مادة سرل) .

(٢٤) قلانس : مفردها قلنسوة ، لباس للرأس مختلف الأنواع والأشكال (المعجم الوسيط مادة قلس) .

(٢٥) في الأصل وفي طبعة ملورد : عليه السلام .

(٢٦) سورة الحشر ، آية (١٠ ، ونص الآية : «والذين جاءوا من بعدهم يقولون ربنا اغفر لنا ولإخواننا الذين سبقونا بالإيمان ولا تجعل في قلوبنا غلاً للذين آمنو ربنا إنك رؤوف رحيم» .

(٢٧) حبابة مولده من مولدات المدينة ، أخذت الغناء عن ابن سريج وابن محرز ومالك ومعبد وجميلة وعزة الميلاء (انظر عمر رضا كحالة ، أعلام النساء ١ : ٢٣٢ - ٢٣٦ .

(٢٨) في الأصل فاستعملوا .

المغنِّين من البلدان إليه ، وجالس الملهين[٢٩] وأظهر الشراب والملاهي والعزف ، وكان في أيامه ابن سريج[٣٠] المغنيّ ومعبد والغريض وابن عائشة وابن محرز وطويس ودحمان[٣١] . وغلب شهوة الغناء على الإشراف ، واتخذ الناس العيدان ، وكان متهتكاً ماجناً خليعاً .

وكان يزيد بن الوليد بن عبدالملك[٣٢] ، فلم تطل أيامه لنعرف أخلاقه ومذهبه ، إلا أنه كان يقول بالاعتزال ويحاجّ فيه .

وكان مروان بن محمد بن مروان بن الحكم ، فكان في أيامه[٣٣] كلها في حروب إلا أنه أول خليفة أظهر العصبيّة وأوقعها في الناس . وكان كاتبه عبدالحميد بن يحي بن سعد صاحب الرسائل ، وكان في أول أمره معلِّما . وهو أول من أطال الرسائل واستعمل التحميدات في فصول الكتب فاستعمل الناس ذلك بعده .

---

(٢٩) في الأصل : الملقيين . لزيادة التفاصيل انظر تاريخ اليعقوبي ٢ : ٣٢٨ .

(٣٠) في الأصل : ابن سريج . وابن سريج هو أبو يحي بن سريح مولي بني نوفل بن عبدمناف ، وقيل مولى بني الحارث بن عبد المطلب وقيل بل مولى بني مخزوم . عاش في مكة واشتهر في الحجاز كلها ، مات بعد مقتل الوليد بن يزيد (١٦٥هـ) ، وترك ابن سريج ثلاثة وستين صوتاً . (انظر الأغاني ١ : ٢٤٨ - ٢٥١ ، ٢٥٤ ، ٢٦٢ ، ٢٦٨ ، ٢٨٣ ، ٢٩٧ ، شوقي ضيف ، الشعر والغناء في المدينة ومكة لعصر بني أمية (١ : ٢٧٣ - ٢٧٧) .

(٣١) معبد : هو معبد بن وهب مولي عبدالرحمن بن قطن ، وقد أعتقه ، وكان أبوه عبداً حبشيًا ، قال عنه إسحاق الموصلي : هو فحل المغنيين وإمام أهل المدينة في الغناء . توفي بدمشق سنة ٧٤٣م (الأغاني ١ : ٣٦ ، ٣٨) . والغريض هو أبو يزيد أو أبـو مروان عبدالملك وقد لقب بالغريض لأنه كان نضر الوجه ، غض الشباب حسن المظهر وهو مولدا من مولدي البربر ، وقد جعله إسحاق الموصلي أحد خمسة تفوقوا في فن الغناء بالحجاز (الأغاني ١ : ٢١١ ، ٢٥٥ ، ٢٥٩ ، ٣٨٠) ، انظر أيضاً شوقي ضيف (١ : ٢٧٧ - ٢٨٠) .

ابن عائشة هو محمد بن عائشة ، يكنى أبا جعفر ، وكان ينتسب إلى أمه ، قال عنه إسحاق الموصلي : «ابن عائشة أحسن الناس ابتداء وتوسُّطا بعد معبد» ، توفي في خلافة الوليد بن يزيد (حوالي ٧٤٣م) . (انظر الأغاني ٢ : ٢٠٣ - ٢٠٤ ، ٢٣٥ ، شوقي ضيف ١ : ٨١ - ٨٣) .

ابن محرز : هو أبو الخطاب مسلم (أو سلم أو عبدالله) بن محرز ، مولي بني عبدالدار ، وأصل أبيه من الفرس ، وكان من سدنه الكعبة ، تتلمذ على يد ابن مسجع بمكة وعزة الميلاء بالمدينة ، سافر إلى الشام وفارس فتعلم ألحان الروم والفرس جميعاً ثم أخضع الغناء العربي لبعض هذه الألحان . قال عنه إسحاق الموصلي : «كان أحد الفحول الخمسة الذين ظهروا في الحجاز» توفى حوالي ٧١٤م (انظر الأغاني ٢ : ٢٨٢ وما بعدها ، شوقي ضيف ١ : ٢٧٢ - ٢٧٣) .

طَوَيس : هو عيسى بن عبدالله وكنيته أبو عبدالمنعم أو عبد النعيم وطويس لقبه ، وكان ابن سريج في مكة أحد تلاميذه ، توفى حوالي ٧١١م (الأغاني ٣ : ٢٧ - ٢٩ ، أبو هلال العسكري ، الأوائل ، ٢ : ١٦١ ، شوقي ضيف ، ١ : ٧٧ - ٧٨ ، الموسوعة العربية الميسرة : ١١٦٨) .

أما دحمان فكان يعرف بدحمان الأشقر واسمه عبدالرحمن بن عمرو ، وهو من موالي ليث بن بكر بن عبدمناة . اتصل بالخليفة المهدي وفاز بعطاياه ، توفى سنة ١٦٥هـ/ ٧٨٢م (الأغاني : ٦ : ٢١ - ٣٣ ، زركلي ، الأعلام ، ٤ : ٩٤ .

(٣٢) وهو المعروف بيزيد الناقص لأنه نقص الناس من أعطائهم وكانت ولايته خمسة أشهر بدءاً من رجب ١٢٦هـ ، وقد كثرت في عهـده الإضطرابات والفتن وتوفى في ذي القعدة سنة ١٢٦هـ (لزيادة التفاصيل انظر تاريخ اليعقوبي ٢ : ٣٣٥ - ٣٣٦ ، الذهبي ، دول الإسلام ١ : ٨٦) .

(٣٣) في الأصل أيامها .

[الفصل الثالث]

[ذكر خلفاء بني العباس]

وولي أبو العباس أمير المؤمنين ، وهو عبدالله بن محمد بن علي بن عبدالله بن العباس بن عبدالمطلب . وكان أول ما فعله فامتثله الناس أنه خطب على المنبر قائماً ، وكانت بنو أمية تخطب قُعودا ، فناداه الناس ، يا ابن عمّ رسول الله أحْيَيْتَ سُنَّة رسول الله ﷺ . وكان سريعاً إلى الأمر بسفك الدماء فسفك الأشعث[1] بالمغرب وصالح بن علي بمصر[2] وسفك خازم بن خزيمة[3] ، وسفك حميد بق قحطبة[4] بالعراق وسفك عبدالله بن علي[5] بالشام ، وسفك داود بن علي[6] بالحجاز ، وسفك يحي بن محمد[7] بالموصل ، وكان على ذلك سمحا وصولاً جواداً بالمال .

وكان أبو جعفر المنصور عبدالله بن محمد (بن علي بن عبدالله عبدالعباس بن عبدالمطلب)[8] فكان أول هاشمي أوقع الفرقة بين ولد العباس بن عبدالمطلب وأبي طالب بن عبدالمطلب حتى قيل عباسي وطالبي ، وقيل كان ذلك أمر بني هاشم كلهم . وكان أول خليفة اتخذ المنجِّمين وعمل بالنجوم . وكان أول خليفة ترجم الكتب العجمية ونقلها إلى اللسان العربي[9] وفي أيامه تُرجم كتاب كليلة ودمنة وترجم كتاب السند هند[10] وترجمت كتب أرسطاطاليس[11] وكتاب المجسطي[12]

---

(١) هو محمد بن عبدالرحمن بن الأشعث (انظر تاريخ خليفة : ٤١٣ ، ٤١٧ ، ٤٢٧ ، ٤٣٢) .

(٢) صالح بن علي بن عبدالله . توفى سنة ١٨٦هـ/ ٨٠٢م (انظرتاريخ خليفة ٢ : ٤٠٣ - ٤٠٤ ، ٤١٤ ، ٤١٧ ، ٤١٩ ، ٤٢١ ، ٤٥٧ ، تاريخ اليعقوبي ٢ : ٣٢٢ ، ٣٤٦ ، ٣٥٠ - ٣٥١ ، ٣٦٤ ، ٣٨٤ ، ٣٩٠) .

(٣) في الأصل وفي طبعة ملورد : حازم بن خزيمة والتصحيح من تايخ اليعقوبي ٢ : ٣٥٤ ، ٣٧٢ ، ٣٨٠ ، ٣٨١ ، تاريخ خليفة : ٤٠٠ - ٤٠٢ ، ٤١٧ ، ٤٣٢) .

(٤) في الأصل : كحطبة ، توفى حميد بن قحطبة الطائي سنة ١٥٩هـ/ ٧٧٥/ ٧٧٦م (تاريخ الطبري ٣ : ٤٥٩) .

(٥) عبدالله بن علي بن عبدالله بن عباس (تاريخ اليعقوبي ٢ : ٣٢٢ ، ٣٤٦ ، ٣٥٠ ، ٣٥١ ، ٣٦٤ ، ٣٨٤ ، تاريخ خليفة : ٤٠٣ - ٤٠٤ ، ٤١٠ - ٤١١ ، ٤١٣ ، ٤١٥ ، ٤١٧ ، ٤٣٣) .

(٦) داود بن علي بن عبدالله (تاريخ خليفة : ٤١٢ - ٤١٦ ، تاريخ اليعقوبي ٢ : ٣٥٠ - ٣٥٢) .

(٧) يحيى بن محمد بن علي بن عبدالله (تاريخ اليعقوبي ٢ : ٣٥٠ ، ٣٥٧) .

(٨) الإضافة من المحقق تكملة لاسم أبي جعفر المنصور .

(٩) كتب في الهامش بخط مخالف لخط الناسخ «أول خليفة ترجم الكتب القديمة أبو جعفر المنصور» .

(١٠) وهو كتاب الهند في النجوم . يصفه اليعقوبي في تاريخه (١ : ٩٤) بأنه «الكتاب الذي منه اشتق كل علم من العلوم مما تكلم فيه اليونانيون والفرس وغيرهم» .

(١١) أرسطاطاليس بن نيقوماخس الجهراسيني . كان تلميذاً لأفلاطون ومن كتبه : كتاب المدخل إلى علم النفس ، وهو الذي يُسمى باليونانية إيساغوجي . (لمعرفة تفاصيل كتبه ، انظر تاريخ اليعقوبي ١ : ١٢٧ - ١٣٣ ، الفهرست : ٣٤٥ - ٣٥٢ ، وحول أرسطاطاليس ، انظر ، المسعودي ، التنبيه والإشراف : ١٠٠) .

(١٢) المجسطي هو كتاب في علم النجوم والحركات ، يوجز فيه بطليموس ما سبق في غيره عن حجم الأرض ومواقع أماكن معينة عليها . وتفسير المجسطي : الكتاب الكبير (لزيادة التفاصيل عن بطليموس وكتبه انظر تاريخ اليعقوبي ١ : ١٣٣ - ١٤٣ ، المسعودي ، التنبيه والإشراف : ١١٢ ، وحول ترجمات كتاب بطليموس انظر الفهرست ٣٧٤ - ٣٧٥) .

لبطليموس ، وكتاب إقليدس[١٣] ، وكتاب الأرثماطيقي[١٤] ، وسائر الكتب العجمية في النجوم والحساب والطب والفلسفة وغير ذلك ، ونظر فيها الناس ، وفي أيامه أيضاً وضع محمد بن إسحاق ابن يسار[١٥] كتب المغازي ، ولم تكن قبل ذلك مجموعة ولا معروفه .

وكان أول خليفة بنى[١٦] مدينة فنزلها وهي مدينة بغداد ، وأُخِذ له الطالع في الوقت الذي ابتدأ[١٧] بنيانها ، فقيل له : أنه لا يموت بها خليفة[١٨] . وكان أبو جعفر قد نظر في العلم وروى الحديث ، وكثرت علوم الناس ورواياتهم في أيـامه . وكان أول خليفة استعمل مواليه وغلمانهم وقدمهم على العرب ، فامتثلت ذلك الخلفاء من ولده بعده .

وكان المهدي سمحاً سخياً كريماً جواداً بالأموال ، وكان الناس في عصره على مثل مذهبه ، واتسع الناس في أيام المهدي في معايشهم . وكان إذا ركب حُمِلَت معه البِدَر[١٩] فلا يسأله أحد إلا أعطاه بيده فتشبه الناس به . فكان قصده قتل الزنادقة ، وذلك أنهم كانوا قد كثروا . ومما كان ابن المقفع ترجمه من كتب ماني الثنوي[٢٠] وكتب [ابن ديصان] الثنوي وغيرهما[٢١] وما وضعه ابن أبي العوجاء[٢٢]

---

(١٣) كتاب إقليدس في الحساب والهندسة ، وتفسير إقليدس : المفتاح وهو من الفلاسفة الرياضيين وهو إقليدس بن نوقطرس بن برنيقس ، وهو أقدم من أرشميدس ، ويقع الكتاب في خمسة عشرة مقالة (انظر التفاصيل في تاريخ اليعقوبي ١ : ١٢٠ - ١٢٣ ، الفهرست ٣٧١ - ٣٧٢) .

(١٤) الأرثماطيقي كتـاب في مقالتين وضعه نيقوماخس الحكيم الفيثاغوري أبو أرسطاطاليس ، وكان القصد من تأليفه إبانة الأعداد وذكر ما تقدمت به الفلاسفة (تاريخ اليعقوبي ١ : ١٢٣ - ١٢٦) .

(١٥) في الأصل : بشار وفي طبعة ملورد بشّار ، والتصحيح من تاريخ اليعقوبي ٢ : ٣٦٣ ، وخليفة ، طبقات : ٢٧٠ ، وهو مولي مخرقة بن نوفل بن عبدمناف بن زهرة بن كلاب ، يكنى أبا عبدالله ، توفى سنة ١٥٢ أو ١٥٣هـ (٧٦٨/ ٧٦٩م) ، ومحمد بن إسحاق من مصادر خليفة بن خياط (تاريخ خليفة : ٣٢٦ - ٣١٧) .

(١٦) في الأصل : بنا .

(١٧) في الأصل : اتخذ ، وكلمة ابتدأ موجودة في الهامش .

(١٨) يذكر اليعقوبي في كتاب البلدان ، تحقيق مضيوف الفرا ، ص ٢٤ ما يلي : «ونزل بغداد سبعة خلفاء وهم المنصور والمهدي وموسى الهادي وهارون الرشيد ومحمد الأمين بن هارون الرشيد ، فإنه قُتل خارج باب الأنبار عند بستان طاهر» (انظر أيضاً الخطيب ، تاريخ بغداد ، ١ : ٦٩) .

(١٩) البِدَر : مفردها البدرة . وهي كيس فيه مقدار من مال يتعامل به ويقدم في العطايا . (المعجم الوسيط ١ : ٤٣) .

(٢٠) في الأصل ماني الينوني . يذكر اليعقوبي في تاريخه (١ : ١٥٩ - ١٦٤) «ظهر ماني بن حماد الزنديق في أيام ملك فارس سابور بن أردشير ومات في عهد الملك بهرام بن هرمز» ، بينما يذكر ابن النديم في الفهرست : (٤٥٦ - ٤٥٧) نقلاً عن محمد بن إسحاق أنه «ماني بن فتق بابك بن أبي برزام ، من الحسكانية ، كان والده ينزل المدائن في الموضع الذي يسمى طيسفون ، وبها بيت الأصنام» . حول مذاهب الثنوية انظر الفهرست : ٤٤٢ - ٤٧٨ ، وحول ابن المقفع والكتب التي نقلها من الفارسية إلى اللسان العربي ، انظر الفهرست : ١٧٢ .

(٢١) في الأصل : الينوني والإضافة استكمالاً للاسم . يذكر ابن النديم نقلاً عن محمد بن إسحاق أن ابن ديصان سمي بهذا الاسم لأنه ولد على نهر يقال له دَيْصان (الفهرست : ٤٥٨)» وحول كتب ابن ديصان والديصانية ، انظر الفهرست : ٤٧٤ .

(٢٢) ي الأصل وفي طبعة ملورد : ابن أبي العرجاء ، والتصحيح من الفهرست : ١٧٣ ، ويذكر ابن النديم أن اسمه نعمان وهو من رؤساء المنوية المتكلمين الذين يظهرون الإسلام ويبطنون الزندقة ، توفي سنة ٧٧٢م .

وحماد عجرد ويحي بن زياد ومطيع بن إياس وملأوا به الأرض من كتب الملحدين وكثرت الزنادقة وفشت كتبهم في الناس . وكان أول خليفة أمر المتكلمين أن يضعوا الكتب [للردِّ][٢٣] على أهل الإلحاد ، وبنى المسجد الحرام على ماهو عليه إلى هذه الغاية ، وبنى مسجد رسول الله ﷺ وكانت الزلازل هدمته .

ثم كان موسى بن المهدي ، فكان جباراً ، وكان أول خليفة مشت الرجال بين يديه بالسيوف المسللة والعُمُد والقِسي الموتّرة ، فتشبه عماله به وذهبوا مذهبه .

ثم كان هارون الرشيد بن المهدي ، فكان متابعاً للحج والغزو وبناء المصانع والقصور[٢٤] في طريق مكة والمدينة ومنى وعرفات ، وبنى ثمان ثغور مثل طرسوس وغيرها ، وبنى دوراً للمرابطين ، فتشبه أهله وعماله وأصحابه وكتّابه به ، فلم يبق أحد إلا بنى بمكة داراً وبالمدينة داراً وبطرسوس داراً تشبها به وعملا بمثل عمله[٢٥] . وكان أكثرهم لذلك وأحسنهم أثراً زوجته أم جعفر بنت جعفر ابن المنصور، ثم البرامكة وزراؤه وغيرهم من مواليه وقوّاده وكتّابه .

وكان الرشيد مع ذلك أول خليفة ضرب بالصوالجة والطباطب ورمي بالنشاب في الرجاس[٢٦] ، وقدّم أهل الحذق بذلك . وأول خليفة لعب بالشطرنج والنَّرد وقدم اللعاب وأجرى عليهم الأرزاق . وأول خليفة اتخذ القيان من بني هاشم فتشبه الناس جميعاً به وسلكوا سبيله ، وكان وزراؤه من البرامكة ، فكان يحي بن خالد[٢٧] يحب الحكمة والكلام والنظر ، ففي أيامه كثر المتكلمون وجادلوا وناظروا ووضعوا الكتب ، منهم : هشام بن الحكم[٢٨] وضرار بن عمرو ومَعْمَر ابن عمر ، وهو أيضاً نظر في كتب الكيمياء . فكانت البرامكة سمحاء كرماء ، أجواداً معطين مفضلين فتشبه عمالهم والناس جميعاً بهم ، حتى أن أيام الرشيد كانت تسمى لكثرة ماكان بها من المفضلين أيام العرس . وأفعال البرامكة مشهورة ومعروفة . ولم يكن في ناحية الرشيد إلا مفضل إما عن حقيقة وإما عن التشبه .

وكان الرشيد أول خليفة كتب في صدورالكتب : «وأسأله أن يصلي على محمد عبده ورسوله ﷺ» فامتثلت الخلفاء ذلك بعده . وأول خليفة بس القلنسوة الطويلة الرصافية ، وأول خليفة كتب على الأعلام السواد بالبياض: « لا إله إلا الله محمد رسول الله» .

---

(٢٣) الإضافة من المحقق استكمالاً للمعنى .

(٢٤) في الهامش الثغور .

(٢٥) في الهامش : «وبلغ كاتب الأحرف أن بمكة فوق مائتين وخمسين رباطاً» .

(٢٦) البُرْجاس : هدف ينصف على رمح أو سارية (المعجم الوسيط : ١ : ٤٦) قارن السيوطي ، الوسائل في مسامرة الأوائل - ص ١١٧ .

(٢٧) في الأصل : لحسن بن خالد . حول يحيى بن خالد ، انظر تاريخ اليعقوبي ، (٢ : ٤٠٦ ، ٤١٩ ، ٤٢٣) .

(٢٨) هشام بن الحكم ، يكنى أبا محمد ، ولد بواسط ، وهو فيلسوف تتلمذ لجعفر الصادق ، وهو من أكبر متكلمي الشيعة الأول وأقدرهم على الجدل والمناظرة (انظرترجمته في الفهرست : ٢٤٩ - ٢٥٠) .

وأما أم جعفر[٢٩] بنت جعفر بن المنصور فإنها كانت تريد أن تتقدم الرشيد في كل شيء من جد وهزل ، فأما الجد فالأثار الجميلة التي ليس في الإسلام مثلها ، فإنها حفرت عين المشاش وساقتها إثنى عشر ميلا إلى مكة وأنفقت عليها ألف ألف وسبعمائة ألف دينار ، ثم اتخذت المصانع والسقايات والمتوضئات حول المسجد الحرام ، وبنت دور السبيل ومصانع بمنى و[فى] عرفات سقايات[٣٠] ، وحفرت آباراً في مِنى على طريق مكة ، ووقفت على ذلك ضياعاً غلتها ثلاثون ألف دينار في السنة ، وبنت في الثغور دور السبيل ، وعملت البيمارستانات ، وحبست ضياعاً على الثغور وعلى الفقراء والمساكين ما غلته مائة ألف دينار .

وأما ما يتلين به الملوك وينعمون به ، فهي أول من عمل في الإسلام ، الآلة من الذهب والفضة المكللة بالجوهر ، واتخذت رفيع الوشي حتى بلغ ثوب وشي عُمِل لها خمسين ألف دينار . وأول من اتخذ الشاكرية[٣١] من الخدم والجوار يركبون الدواب ويختلفون في حوائجها برسائلها وكتبها ، وأول من عمـل القباب من الفضة والأبنوس والصندل ، ورأسها وكلاليبها من الذهب والفضة ملبَّسة بالوشي والسمُّور والديباج والخزّ والملحم والدَّيْبَقيّ[٣٢] وأول من اتخذ القمص اللؤلؤ مفصلة بالجوهر وشمع العنبر ، وتشبه الناس بأم جعفر في جميع أفعالها .

وكان محمد الأمين بن الرشيد وأمه أم جعفر ، فقدم الخدم وآثرهم ورفع منازلهم ، فلما رأت أم جعفر استضعافه بالخدم اتخذت الجواري المقدودات الحسان الوجوه ، فطرَّت رؤوسهن ، وجعلت لهن الـطرد والأصـداغ وشعور الأقفاء ، وألبستهن الأقبية والمناطق ، وكانت أول من فعل ذلك وبعثت بهن إليـه ، وأبـرزتهن للنـاس ، فاتخـذ النـاس من الخاصة والعامة الجوار المطمومات ، وألبسوهن الأقبية والمناطق وسموهن الغلاميات ، وقصرت أيام محمد حتى قتل .

وكان المأمون أمير المؤمنين ابن الرشيد ، فكان في أول خلافته يغلبه الفضل ، يستعمل النجوم والنظر فيها ، ويذهب مذاهب ملوك الفرس ، ويشتهي قراءة الكتب القديمة ، فلما قدم العراق اطّرح ذلك ، وأظهر القول بالعدل والتوحيد ، وجالس المتكلمين والفقهاء والأدباء وأقدمهم من البلدان وأجرى لهم الأرزاق ، فكثر المتكلمون في أيامه ، ووضع كل امرىء كتاباً ينصر قوله ويرد على من خالفه . وكان أكرم الناس عفواً وأحسنهم مقدرة وأجودهم بالمال وأبذلهم للعطايا .

---

(٢٩) أم جعفر زبيدة بنت جعفر بن أبي جعفر المنصور ، اسمها أَمَة العزيز ، ولقّبها جدها أبو جعفر المنصور زُبيدة ، لبضاضتها ونضارتها ، توفيت سنة ٢١٠هـ/ ٨٢٥م (ابن خلكان ، وفيات ، ٢ : ٣١٤ - ٣١٧) .

(٣٠) في الأصل : بمنا وعرفات وسقايات . ومصانع تعني السدود .

(٣١) الشاكرية فرقة عسكرية مدربه تدريباً خاصاً (لزيادة التفاصيل انظر :
M.A. Sha'ban, Islamic History, Combridge, Univ. Press, 1976, pp. 64-65

(٣٢) في الأصل : الدنيفي . الدَّيْبَقي : نسبة إلى قرية دَيْبَق الواقعة قرب دمياط في مصر (الخطط المقريزية ١ : ٢٢٦) .

فأما عفوه فإنه عفا[٣٣] عن إبراهيم [بن][٣٤] المهدي ، وقد خلعه إبراهيم بعد أن كان عامله على البصرة ، ودعا إلى نفسه وتسمى بأمير المؤمنين وحارب أصحابه . وعفا عن الفضل بن الربيع ، وهو الذي كان حمل محمداً على خلعه من ولاية العهد ووجه الجيوش لمحاربته ، ثم أعطاه الأمان فنكث ودعا الناس إلى البيعة لإبراهيم بن المهدي . وعفا عن إسماعيل بن جعفر بن سليمان وقد خلعه وقال فيه أقبح القول . وعفا عن نُعيم بن خازم[٣٥] وقد أقام يحاربه عدة سنين . وعفا عن عيسى بن محمد ابن [أبي][٣٦] خالد ، وقد نكث بيعته مرة بعد أخرى ، وحارب أصحابه حتى قتل صاحب شرطته ، وعفا عن سهل بن سلامة المطوعي ، وكان يلبس الصوف ويعلق المصحف في عنقه ، ويأمر الناس بخلع المأمون ، ولا يعطيه أحد طاعته . وعفا عن مهدي بن علوان الشاري ، وقد تسمى بأمير المؤمنين ، وحارب أصحابه ، فظفر به بغير عهد ولا أمان ، وعفا عن دِعْبل[٣٧] الشاعر وقد هجاه بأقبح هجاء . وعفا عن عبيد [الله] بن السري بن الحكم[٣٨] المتغلب على مصر وقد أقام يحارب عدة سنين . وعفا عن محمد بن جعفر بن محمد العلوي ، وقد خرج بمكة وتسمى بأمير المؤمنين . وعفا عن زيد بن موسى بن جعفر ، وقد خرج بالبصرة وخلع المأمون ، وحارب الجلودي[٣٩] . وعفا عن جميع المتغلبين مثل رباح بن أبي رمثة المتغلب بديار ربيعة ، والعباس بن زفر الهلالي المتغلب بقورس من جند قنسرين ، ونصر بن شبث العقيلي[٤٠] المتغلب بديار مضر مع محاربته أياماً ، وعن عثمان بن ثمامة العبسي ، الخارج عليه بالحجاز ، وعن الحواري بن حنطان التنوخي ، الخارج بحاضر تنوخ ، وعن غير هؤلاء ممن لو ذكرناه لطال الكتاب . وقال : حُبِّب إليَّ حتى ما أراني أُوجر عليه .

فأما الجُود والسماحة ، فإنه أَمَرَ في يوم واحد لثلاثة نفر بألف ، وخمسمائة ألف دينار ، لكل واحد خمسمائة ألف دينار . وقلّ المال في بيت المال فجمع أصحابه وقال : إنه قد قلّ وأضر ذلك بنا وبأوليائنا فاسقرضوا لنا من التجار مقدار عشرة آلاف درهم إلى أن تأتي الأموال فنردها . فقام غسان بن عباد فذكر ما أنعم به عليه ، وعرض ثلاثين ألف ألف درهم وقال : هي حاصلة عندي ، وقام حميد بن عبدالحميد الطوسي ، وقال مثل ذلك . وقام من حضر المجلس من أصحابه فعرض ما عنده حتى بلغ ما عرضوا عليه مائة ألف ألف وستة وخمسين ألف ألف درهم ، فلم يقبل من أحد منهم شيئاً وجزاهم الخير .

---

(٣٣) في الأصل : عفى وهو خطأ مكرر .
(٣٤) الإضافة من المحقق تصحيحاً للاسم . عفا المأمون عن إبراهيم المهدي سنة ٢١٠هـ/ ٨٢٥ (تاريخ خليفة ٤٧٣) .
(٣٥) في الأصل : نعيم بن حازم ، والتصحيح من تاريخ الطبري (٣ : ٧٣٤ ، ٨٤١) ، ابن الأثير ، الكامل (٦ : ٢١٢ ، ٢٥٧) .
(٣٦) الإضافة من المحقق لتصحيح الاسم . تاريخ اليعقوبي ٢ : ٤٤٥ - ٤٥١ ، ٤٦٢ .
(٣٧) هو أبو علي دعبل الخزاعي الحسن ، كان شيعيًا متعصباً ، توفي أو قتل سنة ٨٦٠م انظر ابن خلكان ، وفيات ، ٢ : ٣٤ - ٣٨ .
(٣٨) في الأصل وفي طبعة ملورد : عبيد بن السري ، والتصحيح من تاريخ اليعقوبي ، ٢ : ٤٥٧ ، ٤٦٠ .
(٣٩) الجلودي هو عيسى بن يزيد الجلودي . انظر تاريخ اليعقوبي ٢ : ٤٤٨ - ٤٤٩ .
(٤٠) في الأصل وفي طبعة ملورد : نصر بن شبيب والتصحيح من تاريخ اليعقوبي ٢ : ٤٤٥ - ٤٥٦ .

وتأخرت الأموال ، وبشر بموافاة مال خراج فارس ، فركب ينظر إليه ثم فرقه كله ، فلم يبق إلا مقدار إعطاء الجند . فأمر المعلّى بن أيوب بقبضة . وكان أصحابه ووزراؤه وكتابه وقواده يتقبلون فعله ويسلكون سبيله ويذهبون مذهبه . فمنهم الحسن بن سهل ، وكان أكرم الناس وأجودهم وأكثرهم إفضالاً وأحملهم لنائبة وفادحة ، وأصبرهم على إعطاء كل من سأله .

وكان حُميد بن عبدالحميد الطوسي جواداً سمحاً مفضلاً ، ووقف ضياعاً غلتها في السنة مائة ألف دينار على أهل البيوتات وذوي الأقدار ، وكان لايرد أحداً . وكان غسّان بن عبّاد سمحاً ، فرق في يوم واحد ثلاثة عشر ألف ألف درهم ، وكان إذا سأله أحد حاجة يكلم فيها المأمون ، أعطاه من ماله وكلم المأمون . وكان عبدالله بن طاهر عظيم المروءة حسن الاحتمال حسن الإجمال ، أمر في يوم واحد لثلاثة من أصحابه بثلاثمائة ألف دينار ، لكل واحد بمائة ألف دينار ، ولثلاثة نفر بمائة وخمسين ألفا لكل واحد بخمسين ألف دينار .

وكان علي بن هشام أسمح الناس وأحسنهم مروءة ، وكان مطبخه يحمل إذا سافر على سبعمائة بعير . وكان أحمد بن يوسف كاتبه عظيم المروءة ، وكان الناس عامة على أخلاق محمودة . وشغب الجند ببغداد فكثر ضجيجهم لتأخر أرزاقهم فخرج إليهم [عمر بن] فرج الرُّخَّجيّ(٤١) فضمن لهم أرزاق سنة ، ثم دفعها إليهم من ماله . وكان أول خليفة كتب على عنوانات(٤٢) كتبه «بسم الله الرحمن الرحيم» . وأول خليفة صيَّر ديوان العرض للجند ، وأول خليفة أرّخ الكتب باسم كاتبها(٤٣) ، [وإنما كانت تؤرخ باسم المحرِّر ، وبقيت هذه الرموز . ثم كان المعتصم وهو محمد بن هارون الرشيد ، فسلك في المقالة في الدين مذهب المأمون ، وكان الذي يغلب عليه الفروسيّة والتشبه بالعجم ، فلبس الثياب الضيِّقة الأكمام فضيّق الناس أكمام ثيابهم] . ولبس الخفاف الكبار والشاشي المربعة ، وكان أول من لبس شاشية مربعة فلبسها الناس تشبيهاً به ، ونُسبت إليه ، وقيل : الشاشيّ المعتصِميّة . وكان أول خليفة ركب السروج المكشوفة واتخذ الآلات العجمية فتشبه الناس به . ولم يكن في عصره من وزرائه وقوّاده وكتابه من يوصف بإعطاء ولا جود ولا احتمال إلا الحسن بن سهل على تقاصر أحواله ، وابن أبي دؤاد فإنه كان ذا فضل ومعروف كثير ، وكان ابن أبي دُؤاد(٤٤) غالباً على أمره مقدما عنده .

---

(٤١) في الأصل وفي طبعة ملورد ، خرج الرّخجي . والتصحيح والإضافة من تاريخ اليعقوبي ٢ : ٤٥٦ - ٤٥٧ ، ٤٨٥ .

(٤٢) في الأصل : علوانات .

(٤٣) في الأصل : كاتبه .

(٤٤) هو أحمد بن أبي دؤاد بن جرير بن مالك بن عبدالله بن سلّام الأيادي ، ولد بالبصرة حول عام ١٦٠هـ/ ٧٧٦م ، ووصل إلى أعلى المراكز في عهد المأمون وأصبح قاضي القضاة في عهد المعتصم والواثق . توفى في أوائل ٢٤٠هـ/ ٩٥٤م . انظر تاريخ اليعقوبي ٢ : ٤٧٨ ، ٤٨٣ ، ٤٨٥ ، ٤٨٩ ، ابن خلكان ، وفيات ، ١ : ٨٩١ - ٩١ ، المسعودي ، التنبيه والإشراف ، ٣١٣ .

ثم كان هارون الـواثق بن المعتصم ، فكان مذهبه في الدين والقول بالعدل على مذهب أبيه المعتصم وعمه المأمون . وأظهر ذلك وامتحن عليه وعاقب من خالفه وحبس من أبدى[٤٥] عناداً فيه . وكتب إلى القضاة في الآفاق أن يمتحنوا العدول فلا يقبلوا شهادة من لم يقل بقوله ، فغلب هذا على الناس ، وتقربوا به إلى ابن أبي دؤاد والى القضاة . ولم يكن في عصره من يضرع إليه إلا ابن أبي دؤاد . وكان الواثق كثير الأكل واسع الطعام كثير الصدقات متفقداً لأهل بيته في كل بلد .

ثم كان جعفر بن المتوكل بن المعتصم ، فأبطل ما كان يقول به الواثق ، وأظهر القول بالسنة والجماعة . وأطلق من كان في المحابس ممن حُبس بسبب عدم القول بخلق القرآن ونهى عن الجدل ، وأمر كل من أطلقه من المحدثين أن يتحدثوا ، فترك الناس تلك المقالة ، وأنكرها من كان يقول بها ، وارتفع الجدل والمناظرة . وكان مما أحدثه بناء الحبوس والأروقة التي عليها الأبواب ، فبنى النـاس جميعاً بسرّ من رأى هذا البناء ، وآثر لبس الثياب الملحم على جميع الثياب ، فكان لباسه ولباس كل من في داره من كبير وصغير ، وارتفع ثمن الملحم في أيامه لجودتها . وكانت أيامه أياماً حسنة ناضرة كثيرة الخير ، على أنه أول خليفة أظهر العبث وأطلق في مجلسه الهزل والمضاحيك وأشياء تركنا ذكرها ذاعت في الناس واستعملوها وجَرَوْا فيها . ولم يكن المتوكل ممن يوصف بإفضال ولا جود ، وكان الفتح بن خاقان[٤٦] أغلب الناس عليه وأشدهم تقدماً عنده . ولم يكن ممن يرجى فضله ولا يخاف مكروهه . وكان عبيدالله[٤٧] بن يحيى بن خاقان وزيره ، وكان طالباً للسلامة ، له مروءة في نفسه ، ولا إفضال له على أحد ، إلا أن الناس يأمنون منه المكروه . وكان يعتدى عليه بقول لا حقيقة له ، فكان أحمد بن إسرائيل يقول ، تعلمنا منه الكذب .

وكان محمد المنتصر بن المتوكل ، فلم تطل أيامه فتعرف مذاهبه ، غير أنه كان بخيلاً ، وكان أحمد ابن الخصيب كاتبه ووزيره ، فكان قليل الخير كثير الشر شديد الجهل .

وكان المستعين ، وهو أحمد بن محمد بن المعتصم ، وكان أول خليفة وسَّع أكمام الثياب فجعلها ثلاثة أشبار ونحوها[٤٨] ، وصغَّر القلانس وقصَّرها . ولا يعرف له مذهب اتبعه الناس عليه ، ولا أخلاق تشبه الناس به فيها . وشغل عن كل شيء بما تهيأ عليه من المخالفة والخلع .

وكان المعتز ، وهو أبو عبدالله بن المتوكل ، أول خليفة ركب بحلية الذهب[٤٩] ، وكانت الخلفاء تركب بالحلية الخفيفة من الفضة في المناطق والسيوف والسروج واللجم ، فلما ركب بحلية الذهب اتبعه الناس على ذلك ولم تعرف له أخلاق تُحمد ولا تُذم .

---

(٤٥) في الأصل : ابدا .

(٤٦) الفتح بن خاقان بن أحمد بن غرطوج . كان صديق المتوكل وقُتل معه في عام ٢٤٧هـ/ ٨٦١م . انظر تاريخ اليعقوبي ، ٢ : ٤٢٢ ، الفهرست لابن النديم : ١٦٩ ، ياقوت ، معجم الأدباء ١٦ : ١٧٤ - ١٨٦ .

(٤٧) في الأصل عبدالله . حول عُبيدالله بن يحيى بن خاقان ، انظر تاريخ اليعقوبي ٢ : ٤٩٥ ، ٦٠٧ .

(٤٨) السيوطي ، الوسائل في معرفة الأوائل ، ص ٦٦ ، محمد أحمد علي منصور ، أوائل السابقين ، ص ٤١ .

(٤٩) السيوطي ، المرجع السابق ، ص ٥٦٧ .

ثم ولى المهتدي ، وهو محمد بن الواثق ، فذهب إلى القضاء في الدين وجلس للمظالم ووقَّع بخطة وقرب الفقهاء . وكان يقول : يا بني هاشم دعوني أسلك مسلك عمر بن عبدالعزيز فأكون عليكم مثله في بني أُمية . وتقلل في اللباس والفرش ، وتوهَّم الناس عليه أن يذهب مذهب أبيه في القول بخلق القرآن . والمعتمد ، وهو أحمد بن المتوكل ، فإنه لم تطل أيامه حتى غُلب على أمره ، فآثر اللذة ، وعكف على الملاهي وغلب أخوه أبو أحمد[٥٠] على الأمور حتى حظر عليه وحبسه ، وكان أول خليفة قُهر وحُجر عليه وحُظر[٥١] .

ثم كان المعتضد ، وهو أحمد بن أبي أحمد بن المتوكل[٥٢] ، فكان رجلاً شهماً حازماً . آخر ذلك .

---

(٥٠) أبو أحمد الموفق طلحة بن جعفر المتوكل ويسمى الناصر لدين الله ، انظر المسعودي ، التنبيه والإشراف : ٣١٨ .

(٥١) المسعودي ، التنبيه والإشراف : ٣١٨ ، محمد أحمد علي منصور ، أوائل السابقين ، ص ٤٥ .

(٥٢) «بويع المعتضد يوم الثلاثاء لاثنتي عشر ليلة بقيت من رجب سنة ٢٧٩هـ ، وتوفى بمدينة السلام (بغداد) ليلة الأحد وقيل الثلاثاء لثمان بقين وقيل لست ليال بقين من شهر ربيع الآخر سنة ٢٨٩هـ ، وله سبع وأربعون سنة «انظر التنبيه والإشراف ، ص ٣٢٠» .

أهم المصادر والمراجع التي استخدمت في المقدمة والتحقيق

أولاً : المصــــــادر:

- القرآن الكريم .
- ابن الأثير الجزري ، الكامل في التاريخ (٥ أجزاء) ، بيروت ، دار صادر ، ١٩٦٥ .
- الأصفهاني ، أبو الفرج ، الأغاني (٢٠ جزءا) ، القاهرة ، مطبعة بولاق الأميرية ، ٢٨٥هـ .
- ابن خلكـان ، وفيات الأعيان (٨ أجزاء) ، تحقيق محيي الدين عبدالحميد ، القاهرة ، مطبعة السعادة ، ١٩٤٩ .
- ابن خياط ، خليفة بن خياط ، التاريخ ، تحقيق أكرم ضياء العُمري ، بيروت ، دار العلم ، ١٩٧٧ .
- ــــــــ ، كتاب الطبقات ، تحقيق أكرم ضيا العمري ، بغداد مطبعة العاني ، ١٩٦٧ .
- خليفة ، حاجي مصطفى بن عبدالله ، كشف الظنون عن أسماء الكتب والفنون ، تحقيق محمد شرف الدين ورأفت الخليسي ، ط ٣ ، طهران ، ١٩٧٦ .
- الذهبي ، شمس الدي محمد بن أحمد بن عثمان ، تاريخ الإسلام (جزءان) ، القاهرة ، مطبعة السعادة ١٩٣٦٣ - ١٣٦٩هـ .
- ــــــــ ، دول الإسلام ، تحقيق فهيم شلتوت ومحمد مصطفى إبراهيم ، القاهرة ، ١٩٧٤ .
- ابن سعد ، محمد ، الطبقات الكبرى (٨ أجزاء) بيروت ، دار بيروت ، ١٩٥٨ .
- السيـوطي . جلال الـدين عبـدالـرحمن ، الوسائل في مُسامرة الأوائل ، تحقيق محمد السعيد بسيوني ، بيروت ، ١٩٨٦ .
- الطبراني ، الحافظ أبو القاسم سليمان بن أحمد ، كتاب الأوائل ، تحقيق محمد السعيد بسيوني ، بيروت ، ١٩٨٦ .
- العاملي ، محسن الأمين الحسيني ، أعيان الشيعة ، ط ١ ، دمشق ، ١٩٣٨ .
- العسكري ، أبو هلال ، الأوائل ، تحقيق محمد المصري ووليد قصّاب ، دمشق ، ١٩٧٥ ، وتحقيق محمد السيد الوكيل ، المدينة المنورة ، ١٩٦٦ .
- القلقشندي ، أبو العباس أحمد بن علي ، صبح الأعشي في صناعة الإنشاء ، القاهرة ، ١٩٧٠ .
- المسعودي ، علي بن الحسين ، التنبيه والإشراف ، تحقيق عبدالله إسماعيل الصاوي ، القاهرة ، ١٩٣٨ .
- المقـريـزي ، أبـو العبـاس أحمـد بن علي ، المواعظ والاعتبار في ذكر الخطط والآثار (الخطط المقريزية) ، القاهرة ، مؤسسة الحلبي ، (بدون تاريخ) .
- ابن منظور ، لسان العرب المحيط ، القاهرة ، المطبعة الأميرية ببولاق ، ١٣٠٠ - ١٣٠٧هـ .

- ابن النديم ، محمد بن إسحاق ، الفهرست ، القاهرة ، مطبعة الاستقامة ، بيروت ، دار المعرفة ، ١٩٧٨ .
- ياقوت الحموي ، معجم الأدباء ، بيروت ، دارر المشرق ، القاهرة ، ١٩٣٦ - ١٩٣٨ .
- ـــــــ ، معجم البلدان ، تحقيق ويستفيلد ، لايبزج ، بيروت ، دار صادر ، ١٨٦٦ - ١٨٧٠ .
- اليعقوبي ، أحمد بن أبي يعقوب ، التاريخ (جزاءن) بيروت ، دار صادر ، ١٩٧٠ .
- ـــــــ ، كتاب البلدان ، تحقيق مضيوف الفرا ، إكستر ، ١٩٨٠ .

ثانياً : المراجع العربية :

- الفرا ، مضيوف ، اليعقوبي : الجغرافي المؤرخ ، الدوحة ، ١٩٨٤ .
- زركلي ، خير الدين ، الأعلام (١٠ مجلدات) بيروت ط ٣ ، ١٩٦٩ .
- ضيف ، شوقي ، الشعر والغناء في مكة والمدينة لعصر بني أمية ، بيروت ، دار الثقافة ، ط ٢ ، ١٩٦٧ .
- كحالة ، عمر رضا ، أعلام النساء (٥ أجزءا) بيروت ، مؤسسة الرسالة ، ١٩٧٧ .
- كراتشكوفسكي ، اغناطيوس اليانوفيتش ، تاريخ الأب الجغرافي العربي ، تحقيق صلاح الدين هاشم ، الخرطوم ، ١٩٦١ .
- مجمع اللغة العربية . المعجم الوسيط (جزءان) ، بيروت ، دار إحياء التراث العربي .
- منصور ، محمد أحمد علي ، أوائل السابقين ، عمّان ، مكتبة الرسالة الحديثة ، ١٩٧٠ .
- الموسوعة العربية الميسرة (مجلدان) ، بيروت ، دار النهضة ، ١٩٨٠ .

ثالثاً : المراجع الانجليزية :

Freeman, Grenville GSP, The Muslim and Christian Calenders, London, Rex Collings ltd., 2nd ed. 1977

Sha' bān. M.A., Islamic History, Cambridge University press, 1976.

مخطوطـــة الكتـــاب

مشاكلة الناس لزمانهم

بسم الله الرحمن الرحيم وصلى الله على سيدنا محمد

كتاب مشاكلة الناس لزمانهم وما يغلب عليهم في كل عصر ٥

قال الشيخ الإمام الحافظ العلامة أحمد بن أبي يعقوب بن جعفر بن واضح رحمه الله فأما الخلفاء وملوك الإسلام فإن المسلمين في كل عصر تبع للخليفة يسلكون سبيله ويذهبون مذاهبه ويعملون على قدر ما يرونه منه ولا يخرجون عن أخلاقه وأفعاله وأقواله فكان أبو بكر بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم أزهد الناس وأشدهم تواضعا وتقللا في لباسه وكان يلبس وهو خليفة الشملة والعباءة وقدمت عليه أشراف العرب وملوك اليمن وعليهم الحلل والتيجان والبرود الوشي والحبر فلما رأى القوم تواضعه ولباسه نزعوا ما كان عليهم وذهبوا مذهبه واقتفوا أثره وكان ذو الكلاع ملك حمير فيمن قدم على أبي بكر في عشيرته وقومه وعليه التاج وكان له عشرة آلاف عبد خولا في حاليه فلما رأى لباس أبي بكر قال ما ينبغي لنا أن نكون بخلاف ما عليه خليفة رسول الله صلى الله عليه وسلم فنزع لباسه الأول وتشبه بأبي بكر حتى أنه رئي في سوق المدينة يحمل جلد شاة على قفاه فقالت له عشيرته وقومه فضحتنا أنت سيدنا تحمل شاة من المهاجرين والأنصار قال أفأردتم مني أن أكون جبارا في الجاهلية جبارا في الإسلام وكان الأشعث بن قيس ملك كندة يلبس التاج ويحيا بتحية الملوك فلما أسلم بعد ارتداده وزوجه أبو بكر أخته أم فروة بنت أبي قحافة تواضع بعد التكبر وتذلل بعد التجبر حتى كان يشد عليه شملة خلقة ثم اقتفى الناس سيرته تشبها بأبي بكر واطرحوا الأخلاق التي كانوا عليها في الجاهلية وكان أبو بكر رحمه الله لا يحمل أحدا من الأشراف على الناس رجلا له منهم من يلي سفيان بن حرب أبا ذكر هنه فدعا به فجعل يصيح عليه وأبو سفيان يتذلل له ويتواضع

تذللا بعد الكبر وتحملا

بين يديه واقبل ابو قحافة يقوده قايده وكان قد عمي فسمع صياح ابي بكر فقال
لقايده على من يصيح ابو بكر قال على ابي سفين بن حرب فقال ابا عتيق اعلى ابي سفين
ترفع صوتك لقد تعديت طورك فقال يا ابه ان الله قد رفع بالاسلام قوما
ووضع به اخرين وكان عمر بن الخطاب رحمه الله تعالى مع تواضعه
وخشونة ملبسه ومطعمه شديدا في ذات الله فكان عماله وساير من بعصره او
بعيد عنه يتشبهون بالانبياء واخذ من اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم
وكان يلبس الجبة الصوف ويشتمل بالعباءة ويهنا البعير ويحمل القربة
الماء على ظهره لاهله وكان العامل من عماله وهم امراء الامصار وقد فتح الله ه والاخادم
عليهم وخولهم ومكن لهم واغناهم واكفاهم يتحفون ويحملون النعال
ولا يلبسون الخفاف ويلبسون غلاظ الثياب واذا قدموا عليه قدموا شعثا
غبرا غلاظ ثيابهم شحبة الوانهم فان راهم او بلغه عنهم غير ذلك انكره
عليهم وكان ركوبهم الابل اكثر من ركوبهم الخيل على السنة بعمر وسلوك نحله
وما كانوا عليه على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى انه روي على ابي عبيدة
ابن الجراح وهو امير الشام وقد فتحها الله عليه جبة صوف قد تغيرت رايحتها
فقال ابو عبيدة لقد جلست الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فيها هو اشد رايحة
من هذا فما انكره وكان سلمان الفارسي عامل عمر بن الخطاب على المداين
وكان يلبس غليظ الثياب ويركب الحمارة بغير ذعة من سنة بحبل ليف
وحضرته الوفاة فاتاه سعد بن ابي وقاص فقال له اوصني يا ابا عبد الله
فقال نعم اذكر الله عند همك اذا هممت وعند لسانك اذا حكمت وعند
يدك اذا قسمت وجعل سلمان يبكي فقال له يا ابا عبد الله ما يبكيك قال
سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ان في الاخرة عقبة لا يقطعها الا المخفون

وارى هذه الاثار دخول فنظرنا فما رأينا في بيته إلا إداوة أو ركوة
او قدرا او مطهرة … عمر بن الخطاب عمير بن سعد الانصاري جند حمص
فلما قام حولا ثم انصرف على حاله على الحال التي مضى من عند عمر بها فقال عمر
ويح قوم وليت عليهم اما عرفوا الكحل او كما قال وحج عمر بن الخطاب
فقال لابنه عبد الله كم انفقنا في حجتنا فقال ستة عشر دينارا قال لقد
اسرفنا في هذا المال وكان عثمان بن عفان رحمه الله في السماحة والجود
وصلة الارحام ورفع القرابة واتخاذ المال على ما كان عليه فامتثل الناس
فعله فبنى عثمان داره بالمدينة وانفق عليها مالا جليلا وشيدها بالحجارة وجعل
على ابوابها مصاريع الساج واتخذ اموالا بالمدينة وعيونا وابلا قال
عبد الله بن عتبة كان لعثمان بن عفان يوم مات عند خازنه مائة الف وخمسون
الف دينار والف الف درهم وكانت ضياعه بئر أريس وخيبر ووادي
القرى قيمتها مائتا الف دينار وخلف خيلا وابلا وفي ايام عثمان اتخذ
اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم الضياع الاموال وبنوا الدور فبنا الزبير
ابن العوام داره المشهورة بالبصرة وفيها الاسواق والتجارات وبنى
الزبير ايضا دارا بالكوفة ودارا بمصر ودارا بالاسكندرية وبلغ ثمن مال
الزبير حين الف دينار وترك الف فرس والف مملوك وخططا بمصر
والاسكندرية والكوفة والبصرة وبنى طلحة بن عبيد الله دورا وعقارات
قومت بمائة الف دينار وكانت غلته بالعراق في كل يوم الف دينار وغلته
بالشام عشرة الاف دينار وبنى داره بالجص والآجر والساج وترك
من الذهب والفضة مالا جليلا وبنى عبد الرحمن بن عوف داره فوسعها
وكان له الف بعير وعشرة الاف شاة ومائة فرس وبلغ ربع ثمن ماله

اربعة وثمانين الف دينار وبنى سعد بن ابي وقاص داره بالعقيق فشيدها
وجعل لها شرافات قال سعيد بن المسيب وترك زيد بن ثابت من الذهب
والفضة ما كان يكسر بالفؤوس غير ما لا وضياعا وديونا قيمتها مائة الف وخمسين
الف دينار وترك يعلى بن منية التميمي خمسمائة الف دينار وعقارات وضياعا
وديونا بقيمة مائة الف دينار وبنى المقداد قصره بالجرف بالمدينة
وجصصه باطنه وظاهره وجعل له شرافات ولم يفعل هذا احد من الناس
على عهد عمر وانما فعلوه بعده وكان علي بن ابي طالب عليه السلام
مشغولا ايامه كلها بالحرب الا انه لم يلبس ثوبا جديدا ولم يتخذ ضيعة ولم
يتعهد على مال الا ما كان له بينبع والصمعة فانتصدق به وحفظ الناس عنه
الخطب فانه خطب بانهاية خطبة حفظت عنه وهي التي تدور بين الناس
ويتمثلون بها في خطبهم وكلامهم وكان معاوية بن ابي سفيان فبنى القصور
وشيد الدور وعلا الستور واتخذ الحرس واتخذ الشرطة واقام
الحجاب وبنى المقاصير في المساجد وركب الدواب المسرجة بالسروج
المصفحة ولبس الخز والوشي واتخذ الصوافي والضياع وحمل له الطراز
باليمن ومصر والاسكندرية والرها فاتخذ اهله وولده وعماله ما اتخذ
وفعلوا مثل ما فعل فبنى عمرو بن العاص داره بمصر واتخذ لنفسه
الضياع وغرس في ضيعته التي يقال لها الوهط بالطايف الف الف عود
كرم فكانت بلغت عشرة الاف الف درهم وخلف عمرو يوم مات
ثلاثمائة الف دينار وقال لما حضرته الوفاة يا ليتها كانت مائة الف دينار
وفعل عبد الله بن عامر بن كريز عامل معاوية بالبصرة مثل ذلك
فحفر الانهار وشيد الدور وبنى القصور واتخذ الضياع والاموال

والاجنة بالبصرة وبمكة والطايف وفعل زياد عامل معوية على العراق
ذلك بالكوفة والبصرة وساير العراق واتخذ الضياع وبنا وشيد البنيان وخلف
زياد يوم مات ستة الاف الف دينار فاخذها معوية وهكذا كان معوية يقول
لعماله وربما شاطرهم وفتشهم وفعل مسلمة بن مخلد عامل معوية على مصر مثل ذلك
فاتخذ ضياعا بمصر ووقفها على قومه وخلف يوم مات الف الف دينار وألف
الف درهم وجمع عتبة بن عامر الجهني وكان عامل معوية ايضا على مصر ضياعا
بمصر وحبس بعضها وبنا دارا بمصر بالحجارة والجص وخلف لابنه الف دينار
وسبعماية الف درهم وباع حويطب بن عبد العزى دارا من معوية بأربعين
الف دينار فقيل له يا ابا محمد اربعون الفا فقال وما اربعون الف دينار
لرجل عليه ستة من العيال وكان معوية يقول انا فتقت الملك وكان
يزيد بن معوية صاحب طرد وجوارح وكلاب ولهو ومنادمة على الشراب
فغلب ذلك على اصحابه وفي عصره ظهر الغنا بمكة والمدينة واستعملت
الملاهي واظهر الاشراف الشراب ثم كان عبد الملك بن مروان فكان
جبارا حازما محبا للعب الشعر والفخر والتقريظ والمدح وكان في عصره
فحول الشعراء جرير والفرزدق والاخطل وغيرهم وكثر الشعر في ايام
عبد الملك وامتدحت الشعراء الامراء والاشراف وطلبت الثواب
وكان لعبد الملك اقدام على الدما وعماله فكان عماله على مثل مذهبه الحجاج
بالعراق والمهلب بخراسان وهشام بن اسمعيل المخزومي بالمدينة وعبد الله
ابن عبد الملك بمصر وموسى بن نصير اللخمي بالمغرب ومحمد بن يوسف الثقفي اخو
الحجاج باليمن ومحمد بن مروان بالجزيرة والموصل وكلهم جاير ظالم غشوم
عسوف وكان الحجاج من اظلمهم واقدمهم على الدما وكان الوليد بن عبد الملك

درهم ومايه الف م

من الكسوة والفرش ويعاقب على التقصير فيه باغلظ عقوبة وفي ايامه
على الخز الرقم وكان الناس جميعا في ايام هشام على مثل مذهبه في منع ما بايديهم
وقلة الافضال وانقطاع الرفد حتى انه يقال لم ير زمان اصعب على الناس من
زمانه وذلك انه شح ما كانت الخلفا تفعله من البذل والعطايا والجوايز
والصلات فاستعمل الناس ذلك وسلكوا سبيله واقتدوا به وقال له ابو
حازم الاعرج انما انتم سوق يجلب اليكم ما ينفق عندكم وكان الوليد بن يزيد بن
عبد الملك صاحب شراب ولهو وطرب وسماع للغنا وهو اول من حمل المغنين
من البلدان اليه وجالس الملهين واظهر الشراب والملاهي والعزف
وكان في ايامه ابن سريج المغني ومعبد والغريض وابن عايشة وابن محرز
وطويس ودحمان وغلب شهوة الغنا على الاشراف واتخذ الناس القيان
وكان متهتكا ماجنا خليعا وكان يزيد بن الوليد بن عبد الملك فلم تطل ايامه
فتعرف اخلاقه ومذهبه الا انه كان يقول بالاعتزال ويحتج فيه وكان
مروان بن محمد بن مروان بن الحكم فكان في ايامه كلها في حروب الا انه
اول خليفة اظهر العصبية واول من المنابر وكان كاتبه عبد الحميد
بن يحيى بن سعد صاحب الرسايل وكان اول من فتق ... وهو اول من اطال
الرسايل واستعمل التحميدات في فصول الكتب فاستعمل الناس ذلك بعده

ذكر خلفا بني العباس

وولي ابو العباس امير المومنين وهو عبد الله بن محمد بن علي بن عبد الله بن العباس بن
عبد المطلب وكان اول ما فعله فامتثله الناس انه خطب على المنبر قايما وكانت
بنو امية تخطب قعودا فناداه الناس يا ابن عم رسول الله احييت سنة
رسول الله صلى الله عليه وسلم وكان سريعا الى الامر بسفك الدما فتبعه الاشعث بالمغرب

والناس جميعاً بهم حتى ان ايام الرشيد كانت تسمى لكثرة من كان بها من المفضلين ايام العرس وافعال البرامكة مشهورة معروفة ولم يكن في ناحية الرشيد الا مفضل اما على حقيقة واما على التشبيه وكان الرشيد اول خليفة كتب في صدور الكتب واسأله ان يصلي على محمد عبده ورسوله صلى الله عليه وسلم فامتثل الخلفاء ذلك بعده واول خليفة لبس القلنسوة الطويلة الرصافية واول خليفة كتب على الاعلام السواد بالبياض لا اله الا الله محمد رسول الله واما ام جعفر بنت جعفر بن المنصور فانها كانت تريد ان تتقدم الرشيد في كل شيء من جد وهزل فاما الجد فالآثار الجميلة الذي لم يرَ في الاسلام مثلها فانها حفرت عين المشاش وساقتها اثنى عشر ميلا الى مكة وانفقت عليها الف الف وسبعمائة الف دينار ثم اتخذت المصانع والسقايات والمتوضآت حول المسجد الحرام وبنت دور السبيل ومصانع بمنى وعرفات وسقايات وحفرت ابارا في منى على طريق مكة ووقفت على ذلك ضياعا غلتها ثلاثون الف دينار في السنة وبنت في الثغور دور السبيل وعملت البيمارستانات وحبست ضياعا على الثغور وعلى الفقراء والمساكين غلتها مائة الف دينار واما ما يتلهى به الملوك ويتممون به فهي اول من عمل في الاسلام الالة من الذهب والفضة المكللة بالجوهر واتخذت رفيع الوشي حتى بلغ ثوب وشي عمل لها خمسين الف دينار واول من اتخذ الشاكرية من الخدم والجواري يركبون الدواب ويختلفون في حوائجها برسائلها وكتبها واول من عمل القباب من الفضة والابنوس والصندل ورأسها وكلاليبها من الذهب والفضة ملبسة الوشي والسمور والديباج والخز والملحم والدسني واول من اتخذ القمص اللؤلؤ مفصلة بالجوهر

وشح العنبر وتشبه الناس بام جعفر في جميع افعالها وكان محمد الامين
ابن الرشيد وامه ام جعفر قدم الخدم واثرهم ورفع منازلهم فلما رأت ام جعفر
استغنا فيها بالخدم اتخذت الجوار المعدودات الحسان الوجوه فطرت
ر وسهن وجعلت لهن الطرر والاصداغ وشعور الاقفا والبستهن الاقبية
والمناطق وكانت اول من فعل ذلك وبعثت بهن اليه وابرزتهن للناس فاتخذ
الناس من الخاصة والعامة الجوار المطمومات والبسوهن الاقبية والمناطق
وسموهن الغلاميات وقصرت ايام محمد حتى قتل وكان المأمون امير المومنين
ابن الرشيد فكان في اول خلافته بغلبة الفضل يستعمل النجوم والنظر فيها ويذهب
مذاهب ملوك الفرس ويسهر قراة الكتب القديمة فلما قدم العراق طرح
ذلك واظهر القول بالعدل والتوحيد وجالس المتكلمين والفقها والادبا
واقدمهم من البلدان واجرى لهم الارزاق فكثر المتكلمون في ايامه ووضع
كل امرى كتابا ينصر قوله ويرد على من خالفه وكان اكرم الناس عفوا واحسنهم
مقدرة واجودهم بالمال وابذلهم للعطايا فاما عفوه فانه عفى عن ابرهيم
المهدي وقد خلعه ابرهيم بعد ان كان عامله على البصرة ودعا الى نفسه وتسمى
بامير المومنين وحارب اصحابه وعفى عن الفضل بن الربيع وهو الذي كان حمل
محمدا على خلعه من ولاية العهد ووجه الجيوش لمحاربته ثم اعطاه الامان فنكث
ودعا الناس الى البيعة لابرهيم بن المهدي وعفى عن اسمعيل بن جعفر بن سليمن وقد
خلعه وقال فيه اقبح القول وعفى عن نصر بن حازم وقد اقام يحاربه عدة سنين
وعفى عن عيسى بن محمد بن خالد وقد نكث بيعته مرة بعد اخرى وحارب اصحابه
حتى قتل صاحب شرطته وعفا عن سهل بن سلامة المطوعي وكان يلبس الصوف
ويعلق المصحف في عنقه ويامر الناس بخلع المامون ولا يعطيه احد طاعة فعفا عن

مهدي بن علوان الشاري وقد تسمى بامير المومنين وحارب اصحابه فظفر به
بغير عهد ولا امان وعفى عن دعبل الشاعر وقد هجاه باقبح هجا وعفى عن عبيد
ابن السري بن الحكم المتغلب على مصر وندا تام وقد اقام يحاربه عدة سنين
وعفى عن محمد بن جعفر بن محمد العلوي وقد خرج بمكة وتسمى بامير المومنين وعفى
عن زيد بن موسى بن جعفر وقد خرج بالبصرة وخلع المامون وعفى عن ابرهيم بن
موسى بن جعفر بن محمد العلوي وقد خرج باليمن وحارب الجلودي وعفا عن
جميع المتغلبين مثل رياح بن ليلى ومنه المتغلب بديار ربيعة والعباس بن زفر
الهلالي المتغلب بعوريس من جند قنسرين ونصر بن شبيب الذي قبل المتغلب
به بالمصيصة بعد محاربته اياما وعفى عن ثمامة العبسي الخارج عليه بالحجاز ومن
الهواري بن حطان السوخي الخارج بحاصرتنوخ وعن غير هولاء ممن لو استوعب
ذكرناه لطال الكتاب وقال احب الي العفو حتى ما ارى اني اوجر عليه
واما الجود والسماحة فانه امر في يوم واحد لثلاثة نفر بالف الف
وخمسمائة الف دينار لكل واحد منهم الف الف دينار وقل المال في بيت
المال فجمع اصحابه وقال انه قد قل وامتد ذلك بنا وباوليائنا فاستقرضوا
لنا من التجار مقدار عشرة الاف الف درهم الى ان تاتي الاموال فنردها
فقام غسان بن عباد فذكر ما انعم به عليه وعرض لاثنين الف الف درهم
وقال هي صلة عمهي وقام حميد بن عبد الحميد الطوسي وقال مثل ذلك
وقام من حضر المجلس من اصحابه فعرض ما عنده حتى بلغ ما عرضوا عليه
مائة الف الف وستة وخمسين الف الف درهم فلم يقبل من احد منهم شيئا
وجرى الخبر وتواترت الاموال وبشروا بوفاة مال الخراج فارس
فركب ينظر اليه فمر فرقه كله فلم يبق الا مقدار اعطا الجند فامر

المعلى بن ايوب بتبصنه وكان اصحابه ووزراؤه وكتابه وقواده يتمثلون
فعله ويسلكون سبيله ويذهبون مذهبه فمنهم الحسن بن سهل وكان اكرم الناس
واجودهم واكثرهم افضالا واحلمهم لنايبة قادحه واصبرهم على عطا كل من
ساله وكان حميد بن عبد الحميد الطوسي جوادا سمحا مفضلا وتعرضياعا
غلتها في السنة ماية الف دينار على اهل البيوتات وذوي الاقدار وكان
لا يرد احدا وكان عثمان بن عباد سمحا فرق في يوم واحد ثلاثة عشر الف الف
درهم وكان اذا ساله احد حاجة يكلم فيها المامون اعطاه من ماله وكلم
المامون وكان عبد الله بن طاهر عظيم المروة حسن الافعال حسن الاجمال
امر في يوم واحد لثلاثة من اصحابه بثلثمائة الف دينار لكل واحد ماية
الف دينار ولثلاثة نفر بماية وخمسين الف لكل واحد خمسين الف دينار
وكان علي بن هشام اسمح الناس واحسنهم مروة وكان مطبخه يحمل اذا سار في
عمل على سبعماية بعير وكان احمد بن يوسف كاتبه عظيم المروة وكان الناس
عامة على اخلاق محمودة وشغب الجند ببغداد فكثر ضجيجهم لتاخر
ارزاقهم فخرج اليهم فرج الرخجي فضمن لهم ارزاق سنة ثم دفعها اليهم
من ماله وكان اول خليفة كتب على علوانات كتبه بسم الله الرحمن الرحيم
واول خليفة صير ديوان العرض للجند واول خليفة ارخ الكتب باسم كاتبه
وانما كانت تؤرخ باسم المحرر فبقيت هذه الرسوم [illegible] المعتصم
وهو محمد بن هرون الرشيد فسلك في المقالة في الدين مذهب المامون وكان
الذي يغلب عليه العز وسنه والتشبه بالعجم فلبس الثياب الضيقة الاكمام
فضيق الناس اكمام ثيابهم ولبس الخفاف الكبار والشاشي المربعة وكان
اول من لبس شاشية مربعة فلبسها الناس تشبها به ونسبت اليه وقيل الشاشي المعتصمية

وكان اول خليفة ركب السروج المكشوفة واتخذ الالات العجيبة فتشبه الناس به ولم يكن في عصره من وزرايه وقواده وكتابه من يوصف باعطاء ولا جود ولا احتمال الا الحسن بن سهل على نقاصر احواله وابن ابي دؤاد فانه كان ذا افضال ومعروف كثير وكان ابن ابي دؤاد غالبا على امره مقدما عنده ثم كان هرون الواثق بن المعتصم فكان مذهبه في الدين والقول بالعدل على مذهب ابيه المعتصم وعمه المامون واظهر ذلك وامتحن عليه وعاقب من خالفه وحبس من ابى اعتقاد دينه وكتب اليه القضاة في الافاق ان يمتحنوا العدول فلا يقبلوا شهادة من لم يقل بقوله فغلب هذا على الناس وتقربوا به الى ابن ابي دؤاد والى القضاة ولم يكن في عصره من يفزع اليه الا ابن ابي دؤاد وكان الواثق كثير الاكل واسع الطعام كثير الصدقات متفقدا لاهل بيته في كل بلد ثم ... جعفر المتوكل بن المعتصم فابطل ما كان يقول به الواثق واظهر القول بالسنة والجماعة واطلق من كان في المحابس ممن حبس بسبب القول بخلق القران ونهى عن الجدل وامر كلا من طلبة من المحدثين ان يحدثوا فترك الناس تلك المقالة وانكرها من كان يقول بها وارتفع الجدل والمناظرة وكان مما احدثه بنا الحيري والاروقة التي عليها الابواب فبنى الناس جميعا بستر من رأى هذا البنا وآثر لبس الثياب الملحم على جميع الثياب فكان لباسه ولباس كل من في داره من كبير وصغير وارتفع ثمن الملحم في ايامه لجودتها وكانت اياما ايام حسنة ناضرة كثيرة الخير على انه اول خليفة اظهر العيث والطلوق في مجلسه الهزل والمضاحك واشيا تركنا ذكرها ذاعت في الناس واستحلوها وجروا فيها ولم يكن المتوكل ممن يوصف

بالفضائل ولا جود وكان الفتح بن خاقان اغلب الناس عليه واشدهم تقدماً
عنده ولم يكن ممن يرجى فضله ولا يخاف مكروهه وكان عبيد الله بن يحيى
ابن خاقان وزيره وكان طالبا للسلامة له مروة في نفسه ولا افضال له
على احد الا ان الناس يامنون منه المكروه وكان يحتج عليه بقول لا حقيقة له
وكان احمد بن اسرائيل يقول تعلمنا منه الكذب وكان محمد المنتصر بن المتوكل
فلم تطل ايامه فتعرف مذاهبه غير انه كان بخيلاً وكان احمد بن الخصيب كاتبه
ووزيره فكان قليل الخير كثير الشر شديد الجهل وكان المستعين وهو
احمد بن محمد بن المعتصم فكان اول خليفة وسع اكمام الثياب فجعلها ثلاثة اشبار
ونحوها وصغر القلانس وقصرها ولا تعرف له مذهب اتبعه الناس عليه
ولا اخلاق يشبه الناس به فيها وشغل عن كل شيء بما نُهيا عليه من الحيل لقتله
والخلع وكان المعتز وهو ابو عبد الله بن المتوكل اول خليفة ركب
بحلية الذهب وكانت الخلفاء تركب بالحلية الخفيفة من الفضة في المناطق
والسيوف والسروج واللجم فلما ركب بحلية الذهب اتبعه الناس على ذلك
ولم تعرف له اخلاق تحمد ولا تذم سيره وكان المهتدي وهو محمد بن الواثق
فذهب الى التقشف في الدين وجلس للمظالم ووقع بخطه وقرب الفقهاء وكان
يقول يا بني هاشم دعوني حتى اسلك مسلك عمر بن عبد العزيز فاكون فيكم
مثله في بني امية وتقلل في اللباس والفرش وتوهم الناس عليه انه يذهب
مذهب ابيه في القول بخلق القران وكان المعتمد وهو احمد بن المتوكل
فانه لم تطل ايامه حتى غلب على امره فآثر اللذة واعتكف على الملاهي وغلب
اخوه ابو احمد على الامور حتى حظر عليه وحبسه وكان اول خليفة قهر وحجر
عليه وحظر ثم كان المعتضد وهو احمد بن طلحة احمد بن المتوكل فكان رجلاً شهما